

حَنَانُ الرَّحْمَنِ

مَحَاوِرُ وَسَائِرِ اجْتِمَاعِيَّةٍ

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ



دَارُ الْوَحْيِ

مَحَاوِرُ وَسَائِرِ اجْتِمَاعِيَّةٍ
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ



مَحَاوِرُ وَسَائِرُ اجْتِمَاعِيَّةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

١٨ / ١ / ١٥٠٢ م
٢٨ ربيع الأول ١٤٣٦ هـ

حنانُ اللّٰه

دَارُ الْحَيَاةِ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

دار الحنفية للنشر

دمشق - هاتف : ٦١١٥٦٧١ - ٠٩٣٣٨٤٠٦٢٦

الإهداء

إلى جيل قادم . . قد جاء ليلقي السمع وهو شهيد . .
يفتح عصراً جديداً من الانفتاح الفكري والاستنارة . .
مشفقاً على معاناة الناس وعذاباتهم وسط جاهلية عمياء يتلاعب فيها
الكبراء . . يأتي من أقصى البلدان يسعى صادقاً في طلب الحق وخدمته . .
هاتفاً بالناس وللناس : « يا قوم اتبعوا المرسلين » .
سدد الله خطاهم . . وحقق على أيديهم انبعاث الأمة من الرقاد كي ترتقي
الإنسانية إلى الرشاد . .

حنان لحام

تقديم

تساءلت في نفسي بعد أن أوغلت في السبعينات من العمر . .

هل يكفي ما قدمت للجيل القادم من بعدي ؟

وهل بقي لنا ما نسجله من عصارة فكرنا وجهدنا . . نحن جيل الهزائم . .
والذي تجرع من عواقب أعماله وأعمال من سبقه من المسلمين المتخاذلين
الذين اكتفوا من الأقوال بالتباهي بأمجاد السابقين . . واستعاضوا عن الأعمال
بالأمانى . . !! وقعدوا يَسْتَجِدُّون من الله التوفيق في كل أمر . . وهم
خاملون . . ولعقولهم معطلون !! ربما يكفر عنا بعض خطايانا أن نسجل لهم
آخر ما وصلنا إليه من أفكار . . ونقول لهم : لقد وصلنا إلى هنا . . فلا تقفوا
حيث وقفنا . . بل تجاوزونا . .

دققوا فيما وصلنا إليه ونقحوه . . ليكون الصحيح منه لبنة في صرح جيل
نهضوي جديد . . يبحث وينقب ليفهم ويعمل . . كان جيلنا كثيراً ما يفكر
ليتكلم . . . وأنتم ستفكرون وتخططون وتعملون . .

نسأل الله لكم السداد حتى تحصدوا ثماراً أفضل مما حصدنا . . فأنتم خير
ما بقي لنا من أمل . . ولن يخيب الله رجاءنا .

مواضيع القرآن

من أهم الأمور التي تواجه الإنسان عند بداية تفتحه الفكري تلك الأسئلة الوجودية . .

- من أين جئت ؟ وإلى أين أذهب ؟ - لماذا الحياة والموت ؟ - وما هو دوري في الحياة ؟ - ما هو ديني ؟ - وهل يكفي أنني مسلم بالوراثة ؟ - وماذا يعني الإسلام ؟ - وماذا عن الأديان الأخرى ؟

ولا شك بأن على الإنسان أن يدرس القرآن بتأنٍ ليصل إلى ما يروي ظمأه حول هذه الأمور . . وربما احتاج إلى من يأخذ بيده ويمنحه عدسة مكبرة تساعد على رؤية السطور وما بينها . . وهذا ما دفعني إلى كتابة هذا المخطوط . . إذ أردت أن أقول لمن يأتي من بعدي : - هذا ما وصلنا إليه . . فخذ ودقق به وامتحنه . . وشد العزيمة كي تزيد عليه . .

مواضيع القرآن تدور حول أربعة : الله - الإنسان - الكون - اليوم الآخر .

الله : خالق الإنسان والكون . خلق الإنسان خليفة في الأرض . وأعطاه الإمكانيات اللازمة : طاقة بدنية + عقل + كون مسخر له + عمر (زمان) . وحدد له أجلاً لنهاية الامتحان (الموت) .

الإنسان : عبد لله وسيد للكون . مستخلف لتطوير الحياة . وجزأؤه في اليوم الآخر .

الكون : دليل على الله - وخاضع لسننه - مسخر لخدمة الإنسان . ينتهي دوره عند قيام الساعة .

اليوم الآخر : نهاية الامتحان حيث تعلن النتائج وينال الإنسان جزاء ما نوى وفعل . . . وكما يقول مالك بن نبي : إن العمل الإنساني لا بد أن يعطي الإجابة على (لماذا وكيف) حتى يكون مجدياً . . أما لماذا : ففيها تحديد للهدف . والهدف بالنسبة للمسلم هو رضا الله .

وأما كيف : فهي التي ترسم الخطة للوصول إلى رضا الله .
والقرآن الكريم يحدد أن الصراط المستقيم هو الذي يوصل المسلم إلى ربه . . لأنه ينظم شبكة علاقات ثلاثية مع : الله - الناس - والكون .

* * *

الصراط المستقيم

لنستعرض بسرعة شبكة العلاقات عند بعض الأمم . . لنقارنها بعد ذلك مع الشبكة التي يحددها القرآن .

عند الأمم المستكبرة

في الجاهلية

مع الله ← مقطوعة

الإنسان : مع الله ← شرك

مع الناس : عدل فيما بينهم واستكبار على الضعفاء

مع الناس ← شريعة الغاب

مع الكون : تسخير

مع الكون ← عبودية

مع اليوم الآخر ← انقطاع

مع اليوم الآخر ← انقطاع

في الإسلام :

الإنسان مع الله ← عبودية

الله هو المحاسب

ومع الناس ← عدل وإحسان

الناس شهداء

ومع الكون ← تسخير

نهاية الكون ودماره

وفي اليوم الآخر

ويمكن الاستشهاد بآية عن كل علاقة من القرآن الكريم

تعريف الصراط المستقيم : هو أقصر وأسهل طريق يوصل إلى الله بأقل

التكاليف .

إن حقق الإنسان : عبودية لله + عدل وإحسان + تسخير للكون = عبور

للصراط المستقيم إلى الله والصراط المستقيم وسيلة وليس هدفاً بحد ذاته . .

وكما نعلم : الأهداف ثابتة ولكن الوسائل تتطور ولهذا فإن الصراط المستقيم

يتطور بتطور الوسائل والمعارف ويتغير بتغير أحوال الناس .

مثال : التعلم هو جزء هام لأداء هذه العلاقات الثلاثة . .

ففي الماضي كان أسلوب التعلم (الصراط المستقيم) هو : حلقات المسجد + القراءة على العلماء . .

الآن أسلوب التعلم : الانتساب للمدارس والجامعات + متابعة وسائل الإعلام والانترنت . .

وفي المستقبل قد يتطور أسلوب التعلم بما يتناسب مع تنامي العلوم وانجاز المزيد من وسائل المعلوماتية .

فإذا درسنا القرآن واجتهدنا في تحديد معالم الإسلام كدين . . وجدنا له ثلاثة محاور :

١- عقائد : ثابتة ولكن تتطور براهينها وتؤخذ بالإقناع ولا يكفي أن تولد مسلماً .

٢- عبادات : ثابتة وتنكشف الحكمة منها باستمرار . . وتؤخذ بالاتباع .

٣- معاملات : يلتزم فيها بالعدل والإحسان اللذين يتناسبان مع كل زمان ومكان . .

وبما أن أساليب الحياة تتغير وتختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان . . فلا بد من الاجتهاد لمعرفة العدل والإحسان المناسبين لكل ظرف وحال .

فلننطلق للتفصيل في كل عنصر من عناصر شبكة العلاقات في الإسلام .

* * *

العلاقة مع الله : عبودية

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

ما هي العبادة ؟ هي كل عمل - غير ممنوع شرعاً - تحسن النية فيه لله تعالى .
جاء في حديث أنه مر على النبي ﷺ رجل فرأى الأصحاب من جلده ونشاطه فقالوا : يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله فقال ﷺ : « إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله وإن كان خرج على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله . . »^(١) .
ملاحظة :

١- هل يصح أن نقول : (ساعة لك وساعة لربك) ؟!

لا يصح . . حتى ساعة الاستجمام أمر بها الله لتجديد النشاط . . وحتى الزواج والحب والصدقة . .

٢- كيف نمتحن النية إن كانت خالصة لله ؟! أي أن نتحرر من الشرك الخفي ؟

إن كان مدح الناس وذهمهم لك على ما تعمل بالنسبة لك سواء . (استواء السر بالعلانية) .

التوحيد : ومعنى (لا إله إلا الله) - وسنقف عند عدة محطات للتوحيد :

تعريف الشرك - كل شيء تحبه أكثر وتبذل له معظم مالك وجهدك ووقتك . هو إلهك .

(١) الطبراني صحيح الترغيب ١٦٩٢ .

التوحيد هو :

١- الإيمان بأن الله هو : الخالق الحاكم المجيب للدعاء .

الشرك الآن معظمه في جانبين : المجيب للدعاء والحاكم . « يؤمنون بالجبت والطاغوت » .

الجبت : هو كل من يدعي أنه يملك أن يضرك أو ينفعك . (الخرافة . .
الكهنة والسحرة . .) .

الطاغوت : هو كل من يدعي أن الحكم له . . (الفراعنة - الطغاة -
الديكتاتور . .) .

توضيح : المجيب للدعاء يتضمن الإيمان بسنن الله والقيام بالأسباب
(المريض يأخذ الدواء ويدعو الله) .

٢- ترتيب الأولويات وإعطاء المركزية لله (العادة الثانية والثالثة من كتاب
العادات السبع) إبدأ والمنال في ذهنك (توحيد الهدف) - ابدأ بالأهم ثم
المهم . (ستيفن كوفي العادات السبع) .

الآية : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
اَقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤] .

٣- التوحيد هو إلغاء الامتيازات والعودة إلى كلمة السواء . . فالكل سواء
تحت القانون .

ولهذا يعتبر حق الفيتو الآن هو الشرك الأعظم . لأن الدول الخمس الكبار
يعطلون كل خير .

٤- التوحيد هو نفي وإثبات : نفي (لا إله) وإثبات (إلا الله) . . ولا بد من

النفي قبل الإثبات أن تقول للخطأ (لا) هو نصف التوحيد . (لا تطعه) -
والنصف الآخر طاعة الله (واسجد واقترب) يتحدث القرآن عن مشكلة كبرى
يعاني منها الناس وهي وجود الطغاة والمستكبرين . . . ويعطي التحليل الدقيق
لهذا المرضى (الاستكبار) بأنه ثمرة لخضوع المستضعفين . .

١- فالاستكبار يتغذى بخضوع المستضعف ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف : ٥٤] .

٢- ويصف العلاج بأنه يبدأ من المستضعف.. ﴿لَا تُطِعْهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق : ١٩].. وهنا يستأسد المستكبر في الدفاع عن طغيانه ويتوجه بالتعذيب والتنكيل بهذا المستضعف المتمرد..

ولا بد للمستضعفين من الصبر والثبات على موقفهم في عدم طاعة المستكبر وتحمل الأذى .

٣- وعندها تأتي المرحلة الثالثة التي يتم فيها القضاء على الاستكبار وتوريث خلافة الأرض للمستضعفين المؤمنين الذين كسروا الطغيان برفضهم للخضوع وصبرهم على الأذى .

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَتَابِعًا لَهُمْ وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص : ٥] .

وهكذا نجد التوحيد يحرر الإنسان من الدجالين والطغاة.. ويجعله قادراً على الخلافة وإصلاح الحياة وقد انتبه المؤرخ توينبي إلى أهمية فكرة التوحيد.. وقال لولاها لظل الإنسان عبداً خاضعاً لمظاهر الكون.. ولانعدم التقدم العلمي وخسرنا التسخير للكون لخفاء سننه وقوانينه.

- من الجميل أن نتأمل نموذجاً فريداً للعابدين لله . . ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ في آخر سورة الفرقان .

حيث تظهر عبادة الله في الحركات والسكنات والسمات والسلوكيات ونمط التفكير . .

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ .

- أضيف أن الأستاذ جودت يقول : إن الديمقراطية هي التوحيد . . وفي الحقيقة الديمقراطية من حيث أنها مساواة وإلغاء للامتيازات هي جزء من التوحيد . . والصورة الأرضية له .

ويبقى التوحيد أكبر من حيث أنه عبادة وخضوع لله وحده .

* * *

العلاقة مع الناس : عدل وإحسان

العدل : أن تعطي كل إنسان حقه كاملاً دون زيادة ولا نقصان . . وهو مطلوب حتى مع العدو . هو إشارة = بين كل الناس (المعادلة طرفان بينهما =) أن يتساوى المواطنون جميعاً في الحقوق والواجبات وفي الخضوع للقانون .

أمثلة : الأبوان مع أولادهما - المعلم مع تلاميذه - القاضي - الحاكم - هيئة الأمم .

« فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد »^(١) .

- الارتقاء يتم وفق ثلاث مراحل :

١- لا تدفعك الكراهية إلى الاعتداء ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾ [المائدة : ٢] .

٢- لا تدفعك الكراهية إلى عدم العدل ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ [المائدة : ٨] .

٣- ادفع السيئة بالحسنة : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] .

الإحسان : أن تعطي الآخر زيادة على ما يستحق ولكن من حسابك لا على حساب الآخرين وهو مستحب حتى مع العدو . وقد عرّفه النبي ﷺ « أن

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري رقم ١٠٤٦ .

تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١) . أي أنه شعور في القلب برقابة الله يدفعك إلى إتقان العمل وأدائه على أحسن وجه . . وفي حديث آخر « إن الله كتب الإحسان على كل شيء »^(٢) .

أمثلة :

إلقاء الأوساخ في الطريق : ظلم . والمشاركة في تنظيف الطريق : إحسان
الالتزام بالدور عند الطبيب أو غيره : عدل . التنازل عن دورك لغيرك : إحسان

نتائج المقارنة بين العدل والإحسان :

- ١- تارك العدل : ظالم ومؤاخذ . وتارك الإحسان تارك للأفضل .
- ٢- العدل والإحسان مطلوبان مع الصديق والعدو ويحتاج الأمر إلى حكمة لوضع كل منهما في مكانه .
- ٣- لا يجوز للقاضي أن يحكم بالإحسان بل بالعدل . وله أن ينصح بالتسامح . .
- ٤- العدل يردع المجرمين ويحقق الأمن للمجتمع ويحميه من الثورات .
- ٥- والعلاج للعداوة يتم بالإحسان وفيه ارتقاء ونمو للمجتمع . . ومن الواضح أن العداوة لا تعالج بمثلها .
- ٦- على مستوى اجتماعي يعبر عن الموضوع :
في العدل : الحقوق = الواجبات .
أما في الإحسان : الواجبات أكبر من الحقوق .

(١) صحيح البخاري .

(٢) مختصر صحيح مسلم للمنزري - رقم ١٢٤٩ .

ففي الأمم الراكدة : الاستهلاك = الانتاج - أما في الأمم المتقدمة : الانتاج أكبر من الاستهلاك .

وأما الأمم المتخلفة فهي التي يكون فيها الاستهلاك أكبر من الانتاج (تطالب بالحقوق وتهمل الواجبات) .

أمثلة : في الأسرة - في المدرسة - في المصنع . .

عالم الكبار يسعى لإبقاء الأمم المتخلفة مستهلكة لتشتري منهم فائض الانتاج . ويستخدمون الإعلام والدعاية لتنمية روح الاستهلاك عندنا (التسوق) .

ودور الأم هام جداً في تعويد الطفل على ترشيد الاستهلاك .

* * *

العلاقة مع الكون : التسخير

الكون مسخر للإنسان بشرط أن يكشف قانونه فلا يحدث التسخير بدون علم .

العلم في القرآن

موقف القرآن من العلم :

امتدحه وأمر به حتى في الإيمان بالتوحيد ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] .

إلا عندما يكون ناقصاً أو محدوداً : « وفرحوا بما عندهم من العلم » .
﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الروم : ٧] . . ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ [النجم : ٣٠] لأنه يؤدي إلى الغرور . ويؤدي إلى التكذيب بالحقائق . . إذ يظن نفسه قد أحاط بالعلوم .

مصطلحات في القرآن تدل عليه :

- السنن : ﴿ وَلَن يَّجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٢] أي القوانين .
- الأسباب : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف : ٨٤-٨٥] .

- العواقب : ﴿ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الأنعام : ١١] .

- الآيات : ﴿ سَتَرِيهَمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

أجهزة العلم :

« السمع والبصر والفؤاد » . والفؤاد في القرآن هو : العقل - اللب - القلب .

والقرآن ينتقد الذين عطلوها . . « لهم قلوب لا يعقلون بها . . » . « أولئك كالأنعام بل هم أضل » هل تكفي هذه الأجهزة وحدها للوصول إلى العلم ؟

أمثلة : عن أخطاء البصر : القلم في كوب ماء يظهر كأنه مكسور - الرصيفان يلتقيان في آخر الشارع (قواعد المنظور) .

عن أخطاء السمع : الصدى - محدود ضمن موجات صوتية محددة .

عن أخطاء الفؤاد (العقل) : تتحكم فيه الصورة الذهنية الناتجة عن ثقافة البيئة أحياناً .

- تحدث بعض العلماء عن مراتب الوجود الأربعة :

١- الحقيقة الخارجية . الكون والوجود كما خلقه الله .

٢- الصورة الذهنية : ينظر الإنسان إلى الحقيقة الخارجية فتتشكل في ذهنه صورة قد تكون مطابقة للواقع فتكون علماً وقد تكون غير متطابقة مع الواقع فتكون ظناً . أو هوى ناتج عن أثر البيئة وهو ما ندّد به القرآن « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس » .

٣- الصورة اللفظية : التي يُعبر بها عن الصورة الذهنية التي تشكلت لديه .

٤- الصورة الكتابية : حين يكتب ما وصلت إليه الصورة الذهنية عنده من أفكار عن الواقع .

مثال : التراث : هو ما كتبه السابقون عن صورهم الذهنية . . ويسميه القرآن (الآباء) ولا بد من فحص التراث لفرز الأفكار التي انطبقت على

الحقيقة الخارجية فأصبحت علماً والتحرر من الأفكار الموروثة عن الآباء ولا تنطبق على الواقع .

مثال : علم الطب يتطور بهذا الشكل باستمرار . « بل نَتَّبِع ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » .

- وسائل العلم :

أضافها الله إلينا دعماً لنا في طريق العلم .

١- القراءة والكتابة : ﴿إقرأ باسم ربك﴾ . . . ﴿نون والقلم وما يسطرون﴾

القراءة لما كتب من تراث ولما استجد من أبحاث - والقراءة الكونية .

(تأمل آيات الكون) .

الكتابة : تحبس العلم من الضياع بعد أن تعب الناس في تحصيله .

القراءة تختصر الجهد على الإنسان بحيث يحصل على علم السابقين

وينطلق ليزيد في العلم ويتلافى النقص والأخطاء عند السابقين . . ثم يعود

فيكتب لمن يأتي من بعده .

٢- السير في الأرض : حضور الأحداث - مراقبة الواقع - قراءة التاريخ -

مراقبة الأسباب والنتائج (العواقب) فيما نسمع عبر وسائل الاتصال .

كُلِّفَت الأمة المسلمة بالشهادة . . وشروطها : الحضور - العلم - الأمانة في

الحكم .

- آفات هذه الوسائل :

- آفة التلقي عن طريق قراءة ما كتب : الحرفية والجمود على ما فهمه

السلف . وآفة الكتابة أنك تكتب صورتك الذهنية وقد تكون مليئة بالظن

والهوى .

- وآفة النتائج أنها :

١- تأتي في الدنيا جماعية : أي بحسب سلوك الأكثرية . ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال : ٢٥] - وسؤال أم المؤمنين (أنهلك وفينا الصالحون) ؟ فقال ﷺ « نعم إذا كثر الخبث »^(١) ففي بيئة فاسدة قد لا تظهر نتائج أعمال المصلحين في الدنيا .

٢- النتائج نوعان : عاجلة خداعة (مثل استمتاع شارب الخمر) وبعيدة المدى (أي ما هو خير وأبقى) . . من حيث ما يصيب شارب الخمر من أذى في صحته ونفسه وأسرته فيما بعد .

- مراحل العلم :

١- الملاحظة : وهي استعمال أجهزة ووسائل العلم في رؤية الواقع . . وهي مرحلة أمر بها القرآن : انظروا - تفكروا . . وتنشأ من ذلك : النظرية (وهي صورة ذهنية) .

٢- كشف السنة (القانون) : أن يفعل في الثاني ما فعل بالأول . ويتكرر في القرآن الأمر : ﴿أفلا يتدبرون﴾ . . ﴿أفلا يعقلون﴾ . أي : يربطون بين الأحداث ونتائجها .

٣- التسخير : استخدام القانون للسيطرة على الأحداث والأشياء وتوجيهها . . وهو ما يوصلنا إلى التقوى . . (الأفعال الخمسة : انظروا - تفكروا - اعقلوا - تذكروا - عندها تتقون) معنى : اتقوا : أي لا تصطدموا بالأمور - لأنك إن لم تعرف قانونها اصطدمت بها - بل وجهوها ، وهي مرحلة التسخير التي تأتي بعد رؤية الحدث والتفكير فيه ثم (العقل) ربط السبب بالنتيجة وكشف القانون وتذكره .

- متى يكون البحث علماً ؟ إذا مر بهذه المراحل الثلاث : الملاحظة

(١) مختصر صحيح مسلم للمنزدي رقم ١٩٨٧ .

(التجربة) - كشف القانون - التسخير .

- كيف نمتحن صحة أفكارنا ؟ نمتحن أفكارنا بالتسخير فإن أثمرت العواقب المرجوة كانت علماً .

فروع العلم :

الآيات ثلاثة : آيات القرآن - آيات الآفاق (العلوم المادية) - .

آيات الأنفس (العلوم الإنسانية) .

آيات الآفاق والأنفس تشرح وتشهد لآيات القرآن بأنها الحق (مثال : الايدز) وكلها علوم شرعية .

- العلم يتغير وينمو لكن لا ينقض اليوم ما أثبت بالأمس (لأن التسخير أثبته)

- هل العلم محايد أخلاقياً ؟ ألا يستخدم في الشر والسيطرة على الناس ؟

السبب :

١- انقطاع العلاقة مع الله .

٢- تأخر العلوم الإنسانية ونقصها .

- بمزيد من العلم سينحاز العلم إلى الدين والأخلاق وسيثبت أن :

الالتزام بالدين يعطي السلامة والسعادة . وعندها يتطابق الدين مع العلم ويصبح الدين عالمياً لا يمكن إنكاره . . وعندها يأتي نصر الله والفتح ويدخل الناس في دين الله أفواجا .

* * *

عمل الله وعمل العبد

الناس تقول عن كل الأحداث : نصيب من الله . فما معنى أن يعذب العبد طالما أنه لا خيار له ؟!

- في القرآن : آيات تذكر عمل العبد وحده . . وآيات تذكر عمل الله وحده .
وآيات تذكر العاملين والعلاقة بينهما ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

- أي العاملين يأتي أولاً ؟ عمل العبد ثم يأتي عمل الله كثمرة ونتيجة له . .
﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾
[آل عمران : ٧] يجب الانتباه هنا أن الآيات المحكمات تضع القواعد وهي تشرح المتشابهات التي تذكر عملاً واحداً .

مثال عن المحكمات : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] وتتمتها عن المتشابهات : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ﴾ وإرادة الله هي سنته وقانونه .

مثال : قبل أن تضغط على الزناد لك الخيار ويمكن أن تمنع وقوع الجريمة لكن بعد أن تضغط لا يمكن أن تمنع الطلقة من الوصول إلى مرماها مهما ندمت وتبت . . أي أن النتيجة في الدنيا مؤكدة « لا مرد له » وأما التوبة فإنها تعفي من عقاب الآخرة فقط . لهذا قالوا : المساحة الوحيدة للحرية محصورة بين الحدث وردة فعلك عليه . (بين المثير والاستجابة) . فإذا صدر منك السلوك فقدت خيارك في الحصول على ما تريد . . « إلا الذين تابوا وأصلحوا » التصحيح يعطيك فرصة جديدة للنجاح .

- ذكر ابن تيمية أربعة أنواع للناس في موضوع القدر :

١- قدر المشركين : الذين قالوا : « لو شاء الله ما أشركنا » . . . فهم يرون عمل الله وحده . وهو ما يؤدي للتواكل .

٢- قدر المجوس : الذين لا يرون إلا عمل الإنسان . . . وهم العلمانيون الذين يؤلهون الأسباب .

٣- قدر إبليس : اعترف بالعملين وجعلهما متعارضين ﴿ لَا قُودَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

٤- قدر المؤمنين : يؤمن بالعملين ويعرف سنة الله . فيحمد الله عند النجاح . . . ويدين نفسه عند الفشل . وهو التوكل الحقيقي .

ملاحظة : قول الله ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ لا تفيد الجبر . . وإنما علم الله المطلق فهو يعلم ما سيختاره كل واحد منا . . . وليس كعلمنا . . ومع ذلك علينا بذل الجهد في تبليغ الجميع . . . والله يعلم الغيب والشهادة وعلينا أن ننتبه أن آية التغيير (ما بقوم) جماعية . . . فالنتائج جماعية (أي بحسب عمل الأكثرية) .

من المهم أن ندرك أن مصيرنا نحدده لأنفسنا بالإرادة والعمل . . . وعندها نطمئن لعدل الله وندعو بعد العمل وهو الأمر الذي اهتمت به أبحاث التنمية البشرية الآن - وبدأ به ستيفن كوفي عاداته السبع . . . العادة الأولى : كن مبادراً فأنت تملك مصيرك . .

* * *

الإخلاص والصواب

متى ينجح العمل ويكون مقبولاً عند الله ؟ إذا توفر فيه الإخلاص والصواب .

وتنطبق القاعدة على أعمال الدنيا وأعمال الدين .

أعمال الدنيا : كالزراعة والصناعة والتربية والطب و . . والإخلاص هنا : أن تكون محباً للعمل مريداً له . والصواب فيه : أن تعرف سنن وقوانين هذا الجانب الذي تعمل فيه .

وفي أعمال الدين : كالعبادات والمعاملات . . الإخلاص هنا : أن تطلب رضا الله وحده .

والصواب أن يكون بحسب قوانين الله في القرآن والآفاق والأنفس .

الدليل من القرآن : الآيات (من ١٨ - ٢٠) من سورة الإسراء . ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كَلَّا نُمَدِّدُ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾ .

- فإن فقد الإخلاص في أمور الدين كان : منافقاً - أو مشركاً . . ولا يغفر الله له في الآخرة .

وإن فقد الصواب في هذه الأمور كان : جاهلاً - أو ضالاً . قيل (من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح) ودواؤه التعليم . . وقد يغفر الله له إن كان يسعى للعلم .

- الصواب في العبادة بيَّنه القرآن والسنة . أما الصواب في المعاملات وأعمال الدنيا فيحتاج إلى تعلم مستمر في الآيات الثلاث (القرآن - الآفاق - الأنفس) .

أمثلة : إخلاص بدون صواب : الأم الجاهلة .. كيف تحمي طفلها جسدياً ونفسياً .. !؟

فإن وجد الصواب بدون إخلاص فمثاله كطبيب بدون ضمير . . .

أمثلة من التاريخ : إخلاص بدون صواب : الخوارج - الصوفيون تركوا الدنيا للكفار .

صواب بدون إخلاص : قارون كان عنده معرفة في جمع المال . . وكثيرون يعيشون على مركزية لغير الله وهي حالة فقدان الإخلاص . . .

مصطلحات هذه القاعدة في القرآن :

الإخلاص : آمنوا - أسلم وجهه لله - الأمين - الإرادة - الحفيظ - إياك نعبد . . .

الصواب : عملوا الصالحات - محسن - القوي - القدرة - العليم - إياك نستعين^(١) . . .

نتائج :

١- أيهما يأتي أولاً : الإخلاص أم الصواب ؟

نبدأ من الصواب « فاعلم أنه لا إله إلا الله » . ثم تصبح العلامة جدلية بينهما - ويصبح الإخلاص محفزاً لتحصيل الصواب . . . ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ [التوبة : ٤٦] .

(١) لمزيد من الفهم يراجع كتاب : العمل قدرة وإرادة - جودت سعيد .

٢- أين النقص عند المسلمين ؟ في الصواب . . وعند العالم الغربي ؟ في الإخلاص .

٣- الصواب هو امتلاك القدرة . . والقدرة نوعان : ١- مادية . ٢- فهمية وهي الأساس في تطور التسخير .

٤- تمييز بين الإخلاص والصواب :

١- الإخلاص يصل إلى حد لا يمكن زيادته بينما تعلم الصواب لا نهائي .

٢- الإخلاص يمكن أن يورث وارثه . . ويمكن تحريكه بساعة وعظ . . بينما العلم لا يأتي إلا بالدرس والكسب (مثال : ابن الطيب لا يرث الطب) .

٣- فاقد الإخلاص لا يغفر له أبداً بينما قد يغفر للجاهل إن سعى للعلم وإن أخطأ يكون له أجر .

٤- الإخلاص دافع محرك (وهو جواب على لماذا) . . وأما الصواب فيحدد الخطة والوسائل (كيف) .

٥- الإخلاص بدون صواب قد يؤدي إلى الانفجار (مثل الانتحاريين) . . أو التبدد والضمور (مثل يأس الشباب الآن وارتدادهم) . أما مع الصواب فقد سخرت طاقة البخار في صنع الآلة البخارية - والخطأ في تشخيص النقص يجعلنا نزيد في شحنات الإخلاص فينفجر . . أما زيادة العلم فلا خطر منها . . لأن العلم بتقديمه سينطبق مع الإيمان .

- وقد عبر ابن تيمية عن هذه القاعدة بمصطلحات : القدرة والإرادة . . فقال إذا توفرت الإرادة الجازمة مع القدرة التامة . . تحقق المراد .

والإرادة الجازمة ليست مجرد (همَّ بالأمر) . . والقدرة التامة : فكرية ومادية .

* * *

في القرآن نوعان آخران من التعامل مع الناس غير : العدل والإحسان .

الأول : الموالاة أو الولاء

وهي علاقة حب وإيثار وانحياز وتناصر وتعاقد : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾
﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ ولا يجوز أن تكون هذه العلاقة إلا مع
المؤمنين وقد وردت آيات كثيرة تنهى المؤمنين عن موالاة الكافرين ﴿ لَا تَتَّخِذُوا
عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ . . . ﴾ [الممتحنة :
١١] .

مثال : في مشروع تربوي قائم على بناء جيل على الإيمان بالله والخلق
الحسن . . لا يجوز أن أدخل فيه كافرأ يشتغل معي بتوجيه الناشئين . . ولا أضع
أولادي في مدارس التبشير أو التي أسست على الإلحاد . . وهو أمر غير
الإطلاع على أحدث المناهج والاستفادة منها فالمناهج وسائل تؤخذ وتصبغ
بالإيمان إن كانت صحيحة وعلمية . .

- والموالاة غير البر والإحسان . . لأن البر مأمور به مع الجميع إلا ما نصت
عليه الآية (الممتحنة : ٩) ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ
دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي
الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وظَهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ . . . ﴾ [الممتحنة : ٨ - ٩] .
- فالولاء مع المؤمنين فقط . . لأنه يتضمن الاستعانة والتخطيط المشترك
للخير .

النوع الثاني هو : القتال

وهو حالة خاصة من التعامل مع الظالمين فقط . . والذين لم تفلح معهم
الأساليب الأخرى لردهم عن الظلم . . وهو موضوع كثر فيه اللغظ والالتباس

وأدرج تحت مفهوم الجهاد الذي أمر به القرآن . ولا بد من الوقوف عند أهم النقاط والشروط فيه ابتداء من معنى المصطلح .

- الجهاد : هو بذل الجهد في سبيل الخير . . ومنه جهاد النفس والهوى . ويمكن أن يكون بالعمل والتعاون . مثل : إمطة الأذى عن الطريق والإصلاح بين اثنين . . ومساعدة من يحتاج المعونة . . ومن ذلك ما تقوم به المرأة في بيتها من رعاية وتربية لأولادها وسعي حثيث لحماية نفوسهم وأجسادهم وحسن توجيه الأسرة وإدارتها . . وفرع من الجهاد : القتال . وهو ما ينبغي أن نفهمه مع المعاصرة .

القتال في القرآن

- شرطه الأساسي : في سبيل الله . أي أن تكون النية فيه خالصة لله .
- وغايته : منع الظلم وليس منع الكفر . . بدليل ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] وزيادة في الشرح أقول :

١- نهى الله عن إكراه أحد على دينه وسمى ذلك فتنة وأمر المسلمين بالقتال لإنهاء (الفتنة) فهي ظلم بحق الإنسان ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَسُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٣] بحيث يتحقق اللا إكراه .

الفتنة : هي تعذيب الإنسان لإكراهه على ترك دينه . (من فتنة الذهب : تعريضه لنار شديدة لتحريره من الشوائب) . ومتى يكون الدين لله ؟ - إذا رُفِعَ الإكراه والتزم الناس بـ « لا إكراه في الدين » .

٢- لأن الإيمان في القلب ولا يصل الإكراه إلى القلب وإن أذعنت الجوارح واللسان . والإكراه يولد طبقة من المنافقين المتربصين وهم أخطر على الأمة من الكافرين .

- متى يسمح بالقتال لمنع الظلم ؟ وهل كل من رأى ظلماً عليه أن يقاتل لمنعه ؟ !

- القتال مُوجَّه إلى مجتمع يحكمه حاكم انتخبه الناس دون إكراه . . أي إلى مجتمع راشد اختار حاكمه بالرشد . . والحاكم فيه هو الذي يأمر بالقتال .
- فما هو واجب الفرد إن رأى ظلماً ؟ ينكره بقلبه ولسانه ويساعد المظلوم على تحصيل حقه بالقانون .

- كيف بدأ الأمر بالقتال في الإسلام ؟

- في مكة كان ممنوعاً ﴿ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ . وتحمل المسلمون العذاب في مكة وصبروا ولم يردوا على الأذى بالمثل . إلا حادثة واحدة : حين ضرب سعد بن أبي وقاص أحد المشركين فشجه . وهو مستوى عالٍ من الانضباط : أن تفلت من الالتزام حادثة واحدة .
- بعد الهجرة إلى المدينة نزلت : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ﴾ [الحج : ٣٩] .

إذن حين يكون قانون المجتمع سيئاً ودينه خاطئاً . . فإنه لا يجوز رفع السلاح للإصلاح . . وإنما يتم التغيير بالدعوة إلى الحق والإقناع بالخير والصبر على الأذى . . والتغيير السلمي منعاً للحروب الأهلية التي تعتبر من أسوأ السرطانات التي تقضي على الأمة . وقد تصدى كل الأنبياء لتغيير الدين والقانون الجائر عند أممهم دون أن يقاتلوا . بل صبروا على الأذى فمنهم من حقق التغيير ، ومنهم من أهلك الله قومه .

- فوائد الالتزام بكف اليد : كثيرة . . منها :

١- لرفع الإكراه عند الإيمان . أي عزل القوة عن الفكرة حتى تنتشر الفكرة الأصح . .

٢- تحصين الداعي من أن يتهم بالإرهاب أو السعي لقلب النظام أو الطمع في المنصب .

٣- تحقيق التحرر من عبادة القوة والتدريب على التمرد السلمي ضد القوي الظالم . . وإلا فأى امتياز للمؤمنين إذا كان الطرفان يحتكمان للقوة . . ؟ ! ولا بد من إسقاط صنم القوة أمام الحق والكف عن حمل السلاح ولو من طرف واحد . . وإلا كان صراعاً الغلبة فيه للأكثر قوة وسلاحاً . (تحرير من الاستضعاف) .

٤- أن يذوق المؤمن مرارة الظلم فلا يظلم الآخرين عندما يُمكن منهم . (تحصين ضد الاستكبار) .

٥- تخفيف عدد الضحايا وحقن الدماء ومنع الأحقاد .

٦- كسب تعاطف الجماهير حين يرون المؤمن يُؤذى بدون ذنب . ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج : ٨] .

٧- وضع كوابح قوية ضد الحروب الأهلية التي تمزق الأمم .

٨ - تمحيصاً للمؤمنين وحتى لا نفتح مجالاً لانتشار النفاق والمنافقين .

- ثلاث مراحل يمر بها المجتمع :

١- مرحلة ما قبل المجتمع المسلم .

٢- مرحلة المجتمع المسلم .

٣- مرحلة الفتن .

أما مرحلة المجتمع المسلم الراشد فالحاكم منتخب يحكم بما أنزل الله ويقىم الحدود ويستنفر الناس للجهاد (أي القتال) إن اقتضى الأمر وعليهم الطاعة . أما المرحلتان : ما قبل المجتمع - ومرحلة الفتن (حيث يكون المجتمع فيها مسلم منحرف عن الإسلام لا يحكم فيه بشرع الله) . . . فواجب المسلم فيهما : قول الحق والصبر على الأذى وكف اليد ﴿ لا تطعه واسجد واقترب ﴾ لم تقل الآية (اقله) ولكن لا تطعه وتقرّب إلى الله .

- أحاديث تدل على ذلك : أحد الصحابة يسأل عن الفتن فينصحه النبي أن يلزم بيته ولا يشارك الغوغاء . فيقول الرجل : أرأيت إن دخل عليّ بيتي وبسط يده ليقتلني ؟ قال ﷺ : « كن كخير ابني آدم » وتلا الآية^(١) . وفي وصية أخرى : اكسروا سيوفكم (بما معناه) أي أتلّف سلاحك حتى لا تلجأ إليه . (نزع السلاح ولو من طرف واحد) .

- أما قتال العدو الخارجي فالحاكم في المجتمع الراشد هو الذي يستنفر له وليس الفرد .

- نتيجة : لا يجوز الخروج بالسلاح على الحاكم ولو كان ظالماً . . لأن التصحيح إن تم بالقوة فسيأتي من هو أقوى ويفرض رأيه (الثورة الفرنسية والروسية و . . .) - ولن يتغير الواقع حتى يتغير الإنسان ويدخل في التوحيد . أي الخضوع لله الحق وليس للقوة .

- وعلى الحاكم أن يقاتل الفئة الباغية ولو كانت مسلمة إن أصرت على الظلم والعدوان . وقد حدث في تاريخنا أن الذين خرجوا بالسيف على الحاكم - بسبب الاختلاف في الرأي - سمو الخوارج وأببح قتالهم .

- كيف نوفق بين هذا الكلام وبين الحديث « من قتل دون ماله فهو شهيد و . . » ؟!

حين تقاتل لصاً أو مجرمًا يعتدي عليك فالقانون إلى جانبك . . وهو أمر مختلف عن قتال رجال الحاكم الذين يقبضون عليك ويحجزون مالك لمعارضتك إياه . وعلينا أن ندرك موضع كل أمر . فقد قال ﷺ أيضاً « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه

(١) سنن أبي داود - ٤٠٩١ .

ولمزيد من الفهم يراجع تفسير الآية ٧٧ من سورة النساء في كتابي في هدي سورة النساء .

فقتله»^(١) . . ونحن نعتبر من فعل هذا أنه متهور قد ألقى بنفسه إلى التهلكة وترك الظالم يذبحه (كالأخروف) . !! ! (تأمل موقف مؤمن آل فرعون وسورة يس) .

- أعود لأقول : كيف تطور موضوع القتال في القرآن ؟ (وذلك بعد تكوين المجتمع الراشد) .

١- بدأ بالإذن به ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ﴾ [الحج : ٣٩] .

٢- ثم أمر بقتال الذين يقاتلون المسلمين ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٠] .

٣- وأمر بالاستعداد له ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

٤- وأمر بقبول السلم إن طلبه الآخر ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ [الأنفال : ٦١] وأمر بالوفاء بالعهود والاتفاقات مع العدو .

٥- فإن خاف من العدو غدراً ﴿ وَإِمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ [الأنفال : ٥٨] ولهذا جاءت سورة ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ عندما ظهرت منهم بوادر الخيانة .

٦- ولهذا انتقل الأمر إلى قتال كل المشركين لغدرهم المستمر ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ .

٧- واستثنى حالتين :

١- ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ .

٢- ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَّهُ ﴾ .

(١) قال الحاكم صحيح الإسناد وكذا صححه السيوطي والألباني .

٨- وأما آخر حكم في موضوع القتال فهو ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ فهي نظرة مستقبلية يعرضها القرآن على أتباعه ليعرفوا أن السلم هو الهدف النهائي في التواصل الإنساني عندما ينكشف للناس أن الحرب لا رابح فيها . . وحتى المنتصر يكون خاسراً . .

- زيادة شرح لبعض النقاط :

١- سمح بالقتال عند توفر شرطين : في المقاتل (حاكم راشد منتخب بنزاهة) والمقاتل : يمارس الإكراه والعدوان .

٢- آداب القتال في الإسلام :

١- عدم قتل المدنيين والنساء والأطفال .

٢- عدم إتلاف البيئة . (وهذان الشرطان مفقودان في الحروب المعاصرة) .

٣- عرض خيارات أخرى على العدو (الكف عن الظلم مثلاً) .

٣- موضوع الاستعداد ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ . . فما هي القوة

الآن ؟!

وهل هناك من يجهز (رباط الخيل) للحرب الآن ؟! لا بد من الخروج من

الحرفية في الفهم . .

- القوة الآن هي العلم في الآفاق والأنفس . . والذي يملك العلم يخطط

ويسيطر على مصير الجاهل بدون قتال . . إنه يسخر الجاهل لتحقيق مصالحه

العاجلة (إذ أنه لا يهتم بالبعيدة المدى) .

مثال : يأخذون المواد الأولية من بلادنا بأرخص الأسعار ويبيعونها إياها

مصنعة بأعلى الأسعار . . نحن نستورد منهم كل شيء . . واسوأ ما نستورد

الأسلحة لنقتل بها فيما بيننا . .

- بعضهم يقول : يجب أن نصنع السلاح الذري حتى نرهب أعداءنا . . ؟!

- ١- هذا السلاح مكلف جداً وعلى حساب التعليم والخدمات الصحية . .
- ٢- هو محرم في ديننا لأنه يقتل الأبرياء ويدمر البيئة وينتشر أذاه إلى كل مكان .
- ٣- إن لم نستعمله - وذلك أن الاتفاقات الدولية تحرم استخدامه - نكون قد أهدرنا المال والطاقة . .
- ٤- الفتوحات الإسلامية كانت في البداية لإزاحة العوائق أمام الدعوة والقضاء على الظلم . . لكنها تحولت فيما بعد إلى حروب للمغانم .
- ٥- المرحلة الأخيرة : الدخول في السلم كافة . . وقد بدأنا نحس بوادرها .
فقد تطورت الأسلحة واستفحل أذاها مما أرغم الناس على اتخاذ أساليب أخرى لحل النزاع والصراع . . وأصبحنا نؤمن أن الصراع لا يحل المشاكل وبدأنا نتعلم (فن إدارة الصراع) مطاع بركات و(البديل الثالث) ستيفن كوفي .
- ٦- الجهاد الأكبر هو جهاد النفس والهوى . . هو تحرير المستضعف من مرضه وتحريك النفس وتدريبها على الفعالية - وقبل كل شيء : أن ندخل في تعلم آيات الله في الآفاق والأنفس . . حتى نتحرر من سيطرة الخبثاء الذين يزرعون الفتن والنزاعات بيننا . . إننا مشغولون عن العلم والنهضة بقتال بعضنا . . ونشتري منهم الأسلحة - التي لم يعد لها دور عندهم إلا أن يبيعونا إياها - فماذا يريدون أكثر من ذلك ؟!
- « إن الشيطان قد آيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم »^(١) ﴿ أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ [يس : ٦٠] . . حتى التأثرب أمر المؤمن أن يكظمه حتى لا يفرح الشيطان برؤية كسله وعطالته .

(١) مختصر صحيح مسلم للمندري - رقم ١٨٠٤ .

٧- تحدث ابن كثير في تاريخه أن المسلمين قد وقعوا في ثلاثة ذنوب : طائفة منهم مارست الظلم والمنكر فكان هذا من ذنوبهم . . وطائفة ثانية سكنت ولم تقم بدورها في معارضة المنكر فكان هذا من ذنوبهم . . وثالثة قد أنكرت بأسلوب منهي عنه وهو الخروج بالسلاح في وجه الظلم . . فكان هذا من ذنوبهم .

- ولا بد أن ندرك أن منع الإنكار بالسلاح لا يعني السكوت . . وهي إشكالية كبيرة وقعنا بها . . إذ عطلنا الجهر بالحق ولم ننتبه إلى أنه جزء هام من البيعة مع رسول الله ﷺ (بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في المنشط والمكره . . وأن نقول الحق لا نخشى في الله لومة لائم)^(١) . واستقر في أعماقنا أن لا نتكلم إلا إذا ملكنا قوة مادية .

٨ - المرأة يجب أن تفهم هذا الموضوع بشكل جيد لأنها هي التي تصنع الرجال . . وتذكروا فاطمة بنت الخطاب وكيف أثرت شجاعتها في أخيها عمر . . وتذكروا مواقف صحابييات كثيرات . . .

وأخيراً أقول لن ندرك أبعاد هذا الموضوع حتى نكشف الأجوبة الصحيحة للأسئلة الأربعة التالية :

١- لماذا القتال ؟

٢- من يحق له أن يقاتل ؟ ومن يقاتل ؟

٣- متى القتال ؟

٤- كيف يكون القتال في الإسلام ؟

(للمزيد من الفهم يراجع كتابي في تفسير سورة التوبة - وسورة النساء عند آيات القتال) .

(١) رواه الإمام أحمد على لسان النبي « تباعوني على السمع والطاعة . . وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم » .

الاستكبار والاستضعاف

مثال : آية تذكر هذا الأمر : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْجَعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلُ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْحُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهَدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سبا : ٣١-٣٣] .

نستنتج من الآيات :

- المشهد من يوم الحساب : الظالمون بين يدي الله .
- صنفان من الظالمين يتجادلان : مستضعفون ومستكبرون .
- المستضعفون يُحْمَلُونَ المستكبرين مسؤولية ضلالهم . حيث ينقلب الولاء إلى إدانة .
- المستكبرون يدافعون عن أنفسهم : لماذا تبغتمونا ؟! ويستمر الجدل بين الطرفين .
- كيف يختم المشهد ؟ الأغلال في أعناق الطرفين ويحكم عليهما بالكفر (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) .
- النتيجة : المستكبرون والمستضعفون كفار ومن أهل النار .

- تحليل وتعريف :

- من هو المستكبر ؟!

هو إنسان مصاب بورم الذات فهو ينفي وجود الآخرين . . ولديه خلل في العلاقة مع الله ومع الناس مثال : فرعون « أنا ربكم الأعلى » . . « ما أريكم إلا ما أرى » . . مثال : الخمسة الكبار في مجلس الأمن والفيتو .

- من هو المستضعف ؟ !

هو إنسان مصاب بنفي الذات والخضوع للأقوياء . ولديه خلل في العلاقة مع الله ومع الناس .

مثال : كل من يقول : (أنا عبد مأمور) . . قوم فرعون : « فاستخف قوه فأطاعوه » . . الساكتون على المنكرات .

- المرض عند الطرفين :

عبادة القوة . . لهذا ينقلب المستضعف مستكبراً إن ملك القوة . وينتج عن ذلك ازدواج في الشخصية (إن لم تكن ذنباً أكلتك الذئابة) . فإن ملك القوة استكبر وإن فقدها خضع لمالكها . هذان لا يؤمنان بحالة ثالثة : السواء النفسي وعبادة الله وحده .

- هذا الموضوع خطير لأنه يمثل مشكلة العالم قديماً وحديثاً . (في الأسرة - في المدرسة - في المجتمع - في العالم : الفيتو) .

- مصطلحات هذا المرض في القرآن :

السادة والعبيد - المتبوعون والأتباع - الملاء من القوم والأراذل . وعند مالك بن نبي : الاستعمار والقابلية للاستعمار .

أمثلة على الذين تحرروا من الاستضعاف : اليابان وألمانيا انهزمتا ولكن لم تستعمرأ . .

التشابه بين النفاق والاستضعاف :

- ١- اختلاف السر عن العلانية . المنافق يظهر الإيمان ويضمّر الكفر - المستضعف يمدح سيده وربما يلعنه في سره .
- ٢- سلوكهما في الدنيا متشابه . . فهما مع صاحب القوة يأتمران بأمره .
- ٣- الدوافع متشابهة . . كلاهما يخاف على نفسه من صاحب القوة ويظن أن مصيره بيده .

٤- مصيرهما في الآخرة إلى النار . ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ٩٧] والفرق الوحيد : ربما قلب المستضعف يتمنى لو يقدر على الخير خلافاً للمنافق .

- المستضعف نوعان :

- ١- كافر يلغي ذاته ويخضع للقوة . . (ويطلق عليه رجل العصا لأنه مجرد أداة) وهو (العبد المأمور) الذي يقول : حاضر سيدي لكل أمر يصدره رئيسه . (مثال : السجّان) .
- ٢- مؤمن : لا يطيع المستكبر وليست له قوة تحميه بل يصبر على العذاب ولا يتراجع عن دينه (مثل : بلال) وهو (رجل الفكرة) لا يطيع إلا ما ينسجم مع أمر الله . . هؤلاء موعودون بوارثة الأرض . ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص : ٥] .

- كيف عالج القرآن هذا المرض

- وضع المؤمن بين نهيين :

- ١- نهى عن الاستكبار : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف : ٤٠] .

٢- نهى عن الاستضعاف : ﴿ أَلَمْ آتِ أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ بِبَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ [يس : ٦٠] .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

- تصحيح العلاقة مع الله هي العلاج (العبادة) ثم مع الناس (العدل والإحسان) لأن جوهر المشكلة : تحرير النفس من عبادة القوة .

- من أين نبدأ في العلاج ؟

المستكبر لن يسمع لأحد طالما أنه يملك النفوذ والقوة فهو مغتربها .
ويصل إلى كل أهدافه بالقوة وإكراه الناس . . ولا بد من إبطال سلطان القوة .
لهذا فإن تحرير المستضعف من الخضوع للقوة هو المفتاح « كلا لا تطعه واسجد واقترب » . . كان بلال نموذجاً للعبد الذي تحرر من الاستضعاف وشق طريق الحرية أمام الضعفاء . .

- قد نستعين بعلاج الاستضعاف ونعمل على زوال المستكبر . . لكن التاريخ يخبرنا أن لا فائدة من زوال الطاغية إن لم يتحرر العبيد من استضعافهم . . لأنهم إن وصلوا إلى أي مركز سيمارسون الاستكبار على الناس . لهذا رد موسى على قومه حين اشتكوا من استمرار ظلم فرعون :
﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٩] .

- خلاصة البحث : أن القرآن يشخص القضية في مراحل ثلاث :

١- المستضعف هو السبب الرئيسي في وجود المستكبر . . ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ .

٢- العلاج هو التوحيد ﴿ كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝ ﴾ وإن عذبك المستكبر ونكل بك . . فإنه هو الطريق الوحيد للخلاص .

٣- عندها يتحرر المستضعف ولا يجد المستكبر من يطيعه . . وتتعطّل قوانينه . . مما يؤدي إلى زوال المستكبر والوصول إلى وعد الله للمستضعفين بوارثة الأرض وجعلهم أئمة . ﴿ وَزَيِّدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص : ٥] .

- من الضروري التمييز بين الاستكبار وعزة المؤمن (مثال : أبو دجانة يختال بين الصفوف) . بينما الكبر (بطر الحق وغمط الناس) . . (ومثاله : جبلة بن الأيهم حين لطم رجلاً من عامة الناس . .) .

- التمييز بين الاستضعاف والعفو والتواضع - فالمؤمن هين لين . والعفو لا يكون إلا عند القدرة (مثل عفو النبي عن أهل مكة عندما فتحها) . أما سكوتك لأنك عاجز عن الرد فهو ذل وليس صبراً ولا عفواً . (الجهر بالحق في كل حال) .

- وترك الاستضعاف لا يعني أن تكون فظاً غليظ القلب : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه »^(١) .

- أكرر : التوحيد نصفان : نفي وإثبات : لا إله . . إلا الله . « لا تطعه . . واسجد واقترب » ومن عجز أن يقول للخطأ : لا . . لم يتذوق حلاوة التوحيد . (بلال الضعيف كان يردد تحت التعذيب : أحد أحد . .) .

- الانتباه في تربية الجيل : أن يصاغ بشكل سليم . . فلا يضطهد ويحرم من حاجاته الطبيعية . . ولا تُلبَّى كل طلباته . . فالقسوة تنتج مستضعفاً والدلال ينتج مستكبراً . . مما يشعُرنا بضرورة إنشاء جيل من الأمهات الواعيات اللواتي تزودن بالعلم الكافي لإنشاء جيل يتمتع بالصحة النفسية والاعتدال على التغيير الإيجابي .

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري رقم ١٧٨٤ .

النقد الموضوعي (التغذية الراجعة)

الرسول ﷺ يقول : (الدين النصيحة) فلماذا ننزعج من النصيحة ؟ !
العيب إما في الناصح لأنه لم يلتزم الأدب في النقد . . أو في المنصوح لأنه
مصاب بالاستكبار والجهل بأهمية النقد .

- النقد الموضوعي منهج قرآني . . لأن الفشل دليل على وجود خلل فلا بد
من الكشف والتصحيح .

- معنى التوبة : العودة عن الخطأ . ومن لا يعترف بخطئه لا يقدر على
التوبة . وفي القرآن سورة طويلة تحمل اسم التوبة . . وهي أرقى عملية في
الحياة الإنسانية لأنها صعود دائم للأفضل . .

- نماذج من نقد القرآن للمسلمين :

- في غزوة أحد : ﴿ أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ
مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] . . ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
أَفَاِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

- في غزوة حنين : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ
شَيْئًا ﴾ [التوبة : ٢٥] .

- في قصة الإفك : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالِلسَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٥] .

- في الخروج إلى تبوك : ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَأَقَلَّتْكُمْ إِلَى
الْأَرْضِ ﴾ [التوبة : ٣٨] .

- في معركة الحياة : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿ [الصف : ٢-٣] .

- في الوقوع في الغفلة : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] .

- في تفضيل التجارة على الجمعة : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا آنَفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوا قَائِمًا ﴾ [الجمعة : ١١] .

- بل إن القرآن عاتب رسول الله ﷺ :

- ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى . . . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يَرَكَّى ؟! ﴿ [عبس : ١-١٠] .

- وفي قصة زواجه من زينب ﴿ وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ [الاحزاب : ٣٧] .

- وفي الإذن للمنافقين في التخلف . . ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ [التوبة : ٤٣] .

- وفي قبول الفداء من أسرى بدر ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى ﴾ [الأنفال : ٦٧] .

- وفي تبرئة السارق : ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِيَّاكَ اللَّهُ كَانْ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴿ [النساء : ١٠٦-١٠٧] .

- وفي تحريم العسل على نفسه : ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ [التحريم : ١] .

- ما الفائدة من عرض هذا الموضوع ؟

- المسلمون يظنون أن نقد أخطائهم فضيحة تفيد أعداء الإسلام . . وأن ذلك

يحطم معنوياتهم . . بينما قال أحد الرؤساء : (النقد الذاتي خبزنا اليومي) -
والقصد نقد الذات وليس ترك الموضوعية -

- ولا يمكن تصحيح الأعمال إلا بوجود نقد وتقويم (مثال : أداء المعلم) .

وفي علوم التنمية البشرية يسمونه (فيدباك : تغذية راجعة) .

- وفي ذلك تصحيح للعلاقة السيئة مع السلف : التحرر من موقفين : طاهر مقدس - دنس حقير . .

- وهو ما يؤكد توحيد الله لأنه وحده المقدس المنزه عن الخطأ (القدوس) وكل الناس يخطئون . .

- وفي ذلك تمييز للإسلام عن المسلمين . . فلا يحكم على الإسلام بناء على أخطاء المسلمين .

- ويحرر المسلم من الجمود الفكري (الآبائية) وإيقاف الاجتهاد . . إذ أن بعض المسلمين يقولون : (إن الصحابة هم خير الناس ولم يتعلموا العلوم الإنسانية ولسنا بحاجة إلى علوم الكفار ؟ !) فلماذا نأخذ من الكفار التكنولوجيا والمخترعات . . ؟ !

إن الصحابة والسلف الصالح استعملوا أساليب عصرهم وترجموا علوم الأمم من حولهم وأخذوا النافع منها . . ولو عاشوا في عصرنا لأخذوا عن الآخرين . . وترجموا . . وتفوقوا . .

- كذلك فإن الآيات تصحح العلاقة مع النبي ﷺ . . والآيات لا تحط من قدره ﷺ ولكن :

١- لا يكون النبي ﷺ قدوة إلا إن كان بشراً مثلنا وليس كاملاً (منزهاً) . وهو نبي وليس إلهاً منزهاً .

٢- منهج القرآن : الاهتمام بالتصحيح أكثر من الاهتمام بالأشخاص . . وهو يحصّن الإنسان ضد التشخيص . .

٣- إنه ينقد النبي ﷺ ليرفع ويرقي سلوكه أكثر (أدبني ربي فأحسن تأديبي) .

٤- ننتبه إلى أن أقوال النبي ﷺ وأعماله نوعان : نوع يعتبر وحياً يطاع فيه . . . ونوع يعتبر اجتهاداً من النبي ﷺ . . . مثل : المنزل يوم بدر . . . و(أنتم أعلم بأمور دنياكم) . . .

والصحابة تعلموا أن يميزوا بين النوعين : (مثل قوله ﷺ « لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة »)^(١) . . . مثال معاصر : لو أن أحداً من العالم الغربي سأل داعية للإسلام عن الزنى فهل يقول له كما قال النبي ﷺ : (أترضاه لأختك . . . لا بنتك . . .) إنهم يرضون به ويعتبرونه حرية شخصية . . .

- السواء النفسي : أن تتقبل ذاتك على أنك بشر تخطيء . . . تقبل النقد وتصحح وتتوب . . .

- أما ربنا على الإسلام إن وجه نقد لبعض أعمال الصحابة فهو نتيجة لما أصبنا به من مرض التجسيد - أو التشخيص - وهو خلط الفكرة بالشخص . وقد تصدى القرآن لعلاج هذا المرض في وقت مبكر إذ قال ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] وحذر منه أبو بكر رضي الله عنه يوم وفاة النبي ﷺ حين قال : (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات . . . ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) .

* * *

(١) عن عبد الله بن عمر نادى فينا رسول الله ﷺ يوم انصرف عن الأحزاب أن « لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة » فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا دون بني قريظة . وقال آخرون لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ وإن فاتنا الوقت ، قال فما عنف واحداً من الفريقين . (مختصر مسلم للمنذري رقم ١١٧٥) .

أدب النقد والحوار

فإن كان النقد ضرورياً فإن الالتزام بأدابه هام جداً.. ومن خلال تتبع آيات القرآن وصلت إلى خطوط عريضة كأنها ترسم حدوداً للنقد والحوار :

١- إعطاء الأولوية لطالب الحق . . ﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ * فَأَن ت لَهُ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَرْكُبُ * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَن ت عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ [عبس : ٥- ١٠] .

٢- لا تسب الآخر وتحقر رأيه . . ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

٣- تأكيد النزاهة : ﴿ يَنْقُورُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [هود : ٥١] - إذ أن تاريخ حياة الداعي يعتبر رأسمال محترم .

٤- التواضع وترك الإدعاءات : ﴿ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ ﴾ [الأنعام : ٥٠] .

٥- تعالوا إلى كلمة سواء (لكم مثل مالنا) ﴿ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

٦- ترك الآخر يبدأ بعرض أفكاره : ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّقْبُوْنَ ﴾ [يونس : ٨٠] .

وهذا يتفق مع العادة الخامسة عند ستيفن كوفي : استمع وافهم حتى يفهمك الآخر . وإنك حين تسمع للآخر أولاً تعرف منطلقاته وكيف يفهم الأمور مما يساعذك على تقديم العرض المناسب لفكرتك - كما أنه يشعر أنك أنصفته فيرتاح .

هل تدربنا على حسن الاستماع ؟

أنواع الاستماع :

- ١- التظاهر بالاستماع.. كأن تكون مشغولاً بشيء ولكن تسكت وتهز برأسك وكأنك تتابع المتحدث.. لكنه سيشعر بالإهمال وينقطع التواصل .
- ٢- الاستماع بتربص للرد على المتحدث.. كأن تسجل بعض النقاط على ورقة.. أو تقاطعه .

٣- الاستماع التعاطفي : وفيه تقوم بتصفية ذهنك من كل عدااء.. تتوجه إلى المتكلم بصدق وتنظر في عينيه.. وقد توجه له بعض الأسئلة لفهم أكثر.. ويمكن أن توجه له بعض العبارات التي تشعره بالتقدير.. مثل : لا شك أنك حزين.. أقدر موقفك.. عندك حق في بعض ما ذكرت..

٧- أسلوب عرض الموضوع :

١- ناقش فيما رأيته من أخطاء (كن واقعياً) . ﴿ نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾ [المائدة : ١٨] .

٢- قدم شهادة التاريخ : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا ﴾ [الأنعام : ١١] .

٣- نتحاكم إلى العواقب : ﴿ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ * وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴾ [هود : ١٢١-١٢٢] .

٤- الترغيب والترهيب : ﴿ وَيَقَوْمٍ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴾ [غافر : ٤١] .

٥- اختيار الألفاظ التي توحى باحترام المحاور وتفضيله على النفس : ﴿ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سبا : ٢٥] .

٨- أعلن إيمانك وليختاروا ما يشاؤون ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ.. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ كن نموذجاً عملياً لـ : « لا إكراه في الدين » . . .

٩- اعتزل الصراع ولو من طرف واحد ﴿لَيْنُ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة : ٢٨] .

١٠- ادفع بالتي هي أحسن : ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء : ٥٣] . واحذر من الاستفزاز لأنه أسلوب شيطاني . . وتجنب تصيّد الأخطاء لأنه يقطع التواصل .

- وفي كل ذلك لتكن محباً مشفقاً وليس عدواً حاقداً . ﴿فَقِيلَ أَدْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس : ٢٦-٢٧] ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطْأً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

أمثلة : الحوار مع صاحب الجنتين في سورة الكهف .

الحوار بين مؤمن آل فرعون وفرعون وملئه (سورة غافر) .

حوار مؤمن آل ياسين مع قومه . . وكيف وضع نفسه موضع النقد ﴿ءَاتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ﴾ حوار النبي ﷺ مع عتبة (أبو الوليد) وسماع النبي له^(١) حوار جعفر بن أبي طالب مع نجاشي الحبشة .

ولك أن تلاحظ أن القرآن يتبنى الحوار ويدعو إليه . . تأمل : « قل . . . قال . . قلنا . . قالوا . . » فافتح النوافذ والجسور مع الآخر .

* * *

(١) كتابي من هذي السيرة صفحة ٥٧ .

الحكم والحكمة

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

آيات الله تتضمن : الأحكام . . وأحياناً تلحق الأحكام ببيان الحكمة منها .

من الأحكام : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » .

وهذه آية تتضمن الحكم والحكمة : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ

بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

[النور : ٢٧] .

- هل من المهم أن نعرف الحكمة ؟ أليست الطاعة لأمر الله مطلوبة سواء

أفهمنا أم لم نفهم الحكمة ؟

- فوائد فهم الحكمة :

١- رفع الله منزلة من أوتي الحكمة . . ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا

كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

٢- تصبح الطاعة لحكم الله أقوى والإيمان في النفس أرسخ . . لأن من طبع

الإنسان ألا يؤمن بمبدأ إلا إذا عرف أنه الأنفع . . على الأقل : نسبة كبيرة من

الأوامر . . وعندها يمكن أن يسلم في الباقي . .

٣- تتحقق السعادة للمؤمن مع تطبيق الحكم ويصبح هواه تبعاً لما أمر به ربه

ويكره أن يعود إلى الكفر .

٤- فهم الحكمة يعطي القدرة على الاجتهاد فيما استجد من أمور ولا نص

فيها (مثال : التدخين) .

٥- فهم الحكمة يعطيك المرونة فتتحرر من الحرفية والجمود . وقد وصف الله عباد الرحمن ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان : ٧٣] . مثال : اجتهدات عمر رضي الله عنه . . . منها : إيقاف تقسيم الأراضي المفتوحة على الجيش وإيقاف تطبيق حد السرقة في عام المجاعة .

من فهم الحكمة تصبح لديه قدرة على وضع الأمور في مواضعها .
- الناس في هذا الموضوع أربعة أصناف :

- ١- من عرف الحكم ولم يعرف الحكمة . . مثل كثير من المسلمين الآن .
 - ٢- من لم يعرف الحكم ولا الحكمة . . مثل الجهلة والبدائيون . . .
 - ٣- من عرف الحكمة ولم يعرف الحكم . . مثل الغريبيين الذين يؤمنون بحرية الفكر - ويلتزمون بالنظافة ودقة الموعد .
 - ٤- من عرف الحكم والحكمة . مثل العلماء من المسلمين المجتهدين قديماً وحديثاً .
- هذا الموضوع يقود إلى دراسة المقاصد في القرآن . . وهو البحث الذي وسعته في كتابي (مقاصد القرآن) .

* * *

المقاصد في القرآن

كيف نعرف المقاصد في القرآن ؟

كل آية يأتي فيها (يريد الله) أو (لعلكم) أو (ذلك لـ) أو (كي لا) أو (لـ . .) فهي تبين العلل والحكم والمقاصد .

أمثلة :

- ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

- ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

- ﴿ كُنْ لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ [الحشر : ٧] .

- ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِسُتُوبِهِمْ ﴾ [التوبة : ١١٨] ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص : ٢٩] .

- وقد يفهم من سياق الآية : مثل : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢] . . « هذا هدى . . . » .

- اهتم بعض علمائنا في الماضي بهذا الموضوع مثل : الإمام مالك . . والشاطبي . .

- واليوم يبدو علم المقاصد ضرورياً جداً :

١- تطبيقاً لأمر الله : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [النساء : ٨٢] .

٢- لتحصيل القدرة على الاجتهاد فيما جد من أمور . . . (مثل : زراعة الأعضاء - السلاح الذري . . .) .

٣- التحرر من سيل الفتاوى التي تشل فعالية المسلم . (مثل : إبقاء المرأة في البيت درءاً للمفاسد بزعمهم . . .) .

٤- ليعيش المسلم عصره دون أن يفقد هويته أو يشعر بالازدواجية . . (مثل ظن المسلم أن الديموقراطية ضد الدين . . وأن الحكومة المدنية كفر) .

٥- تحقيق التقارب في الفهم سعياً إلى التوحيد والتلاحم في الأمة . . وامتلاك القدرة على (حوار الأديان) .

٦- والخروج من العصبية إلى العالمية . . (تحقيق التقارب العالمي بإعطاء المرجعية إلى ما هو خير وأبقى) .

- والموضوع بدأ يطرح باهتمام في أجوائنا الفكرية بعد أن خدمه بعض العلماء المحدثين : مثل الطاهر بن عاشور - وعلال الفاسي . . وما زال بحاجة إلى زخم أكبر . .

- في كتابي (مقاصد القرآن) تتبعث الأمر من خلال آيات القرآن واعتمدت مقدار تعداد المقصد في القرآن كمقياس لأهميته . . فكانت النتيجة أن تفعيل العقل هو المقصد الأول إذ أكدت الآيات على أعمال العقل ثلاثمائة وستين مرة في القرآن تقريباً .

وقد وجدت في القرآن أربعة أنواع من المقاصد :

١- مقاصد خلق الإنسان .

٢- مقاصد خلق الكون .

٣- مقاصد القدر .

٤- مقاصد الدين . وكان الرابع هو المقصد من الكتاب حيث وصلت إلى

نتيجة : أن مصالح الفرد والأمة لها الأولوية ثم يأتي الارتقاء والتطوير وحفظ الدين .

- والسؤال الآن : ماهي الشروط اللازمة لمعرفة الفتوى في أمورنا المعاصرة ؟ والجواب برأبي :

١- العلم بمقاصد الدين .

٢- العلم بالواقع المعاش ونتائج الأمور (العواقب) .

- ولهذا نحن بحاجة إلى مجلس إفتاء يجمع بين المتخصصين في كل فروع

العلم : أي : آيات القرآن وآيات الآفاق (العلوم المادية) وآيات الأنفس (العلوم الإنسانية) .

* * *

النفس والأمة في القرآن

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله الذي أرسله الله ليكون رحمة للعالمين .

نعيش في زمن أصبح فيه توجيه الإنسان وبناء الأمم وصيانتها من أعظم القضايا التي تخصص لها الأبحاث والدراسات . . وهو أمر يستحق أن تبذل فيه الأعمار والأرواح . . فالحياة الإنسانية في الشرق والغرب تعاني من التشوش والاضطراب . . وفي الوقت الذي قدم لنا التقدم المادي خدمات وتسهيلات . . لكنه زاد من معاناتنا لأنه استُخدِمَ في كثير من الأحيان ضد مصلحة الإنسان وسخر لخدمة مصالح الكبار وأعانهم على امتصاص أرزاق الأمم الضعيفة . . واصاب البيئة بالتلوث والفساد . . فهل في ديننا نحن المسلمين ما يشجع على تلك الدراسات الإنسانية . . ؟!

ابتداءً يجب أن نلاحظ أن القرآن لم يأت ليكون كتاب فلك أو فيزياء أو كتاباً في علم النفس والاجتماع . . إن القرآن يشير إلى هذه العلوم ويدفعنا لدراساتها لأن كشفها وتسخيرها مطلوبان من الإنسان . . وإنما القرآن كتاب هداية للدين الأمثل ولنظام الحياة الأفضل . . إنه يعطي المعنى لحياة الإنسان ودوره على الأرض . . وفيه يحدثنا الله عن قوانين في الكون وفي الحياة ويعدنا باستمرار انكشافها . . ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت : ٥٣] إن انكشاف هذه الآيات سيزيدنا يقيناً بآيات الكتاب وسيقدم البرهان على أنه الحق .

وفي البداية لا بد من تحديد مصطلح (الآيات) فهي كما فهمت :
العلامات والمؤشرات التي توضع على جانبي الطريق لتهدي السالكين . . وترد
في القرآن بمعنى (السنن) والسنة : أن يفعل في الآخر ما فعل بالأول . . فهي
بمعنى القوانين الناظمة للحياة . .

والحديث عن آيات الآفاق والأنفس مطروح في القرآن الكريم فأيات الآفاق
هي العلوم المادية (الفيزياء - الكيمياء - الفلك . . .) وآيات الأنفس هي العلوم
الإنسانية (علم النفس والاجتماع والتطوير الاقتصادي والتربوي . . .) أما
آيات الآفاق فقد تحدث عنها كثيرون . . والعلوم المادية تتطور بسرعة . . .
وقوانين الكون تتجلى بروعة وتلقى اهتماماً من معظم الناس . . بينما سنن
الأنفس ما زالت بحاجة إلى مزيد من الاهتمام . . خاصة وأنها هي التي تقود
وتوجه الانتصارات العلمية . . فإما أن تسخرها لرفي الناس وسعادتهم . . وإما
أن تسخرها للاستغلال والاستئثار بخيرات الشعوب الضعيفة . . ولهذا فكرت
بتتبع الآيات التي تشير إلى قوانين حياة الأنفس . . مع محاولة بدائية لسبر غورها
وتصنيفها . . ولعل هذه الخطوة تكون بداية لترسيخ العلوم الإنسانية في العالم
الإسلامي . . وظهور المتخصصين والمبدعين فيها .

وقد تتبع في بحثي هذا الآيات التي تناول صلاح الفرد والأمة في الدنيا
فقط . . أي عواقب الدنيا دون عواقب الآخرة . . لأن المقصد من البحث هو
الإمساك بقوانين الحياة الطيبة في الدنيا .

وقد وصل عدد ما أحصيته من سنن في القرآن إلى (١١٧٥) وفيها تكرار
لعدد كبير من سنن الأنفس مع ملاحظة أن كل قصص القرآن سبقت للدلالة على
سنن الحياة بالدرجة الأولى . . ولا بد أن نتذكر هنا أن عدد آيات القرآن
(٦٢٣٦) آية . . وقد تنص الآية على أكثر من سنة واحدة . .

مما يجعلني أقول إن الحديث عن آيات الأنفس يشغل ما يقارب خمس

القرآن.. ومن المعروف أن آيات القرآن تدور حول أربعة محاور : الله - الإنسان - الكون - اليوم الآخر...

فهل نضيف (آيات الأنفس) على أنها محور خامس فيه .. ؟

بل أقول : إن آيات الأحكام والمقاصد وآيات الأنفس قد نزلت لتحديد العلاقات بين هذه المحاور الأربعة .. فهي روح الدين وجوهره الثمين .. فلهذا كتبت كتابي (مقاصد القرآن) ... وعزمت على الاجتهاد في إصدار هذا البحث عن سنن الأنفس .. لوضع لوحات على طريق جديد تشقه أجيال النهضة القادمة .. لوحات تشير إلى معالم ومنعطفات لا بد من الانتباه إليها ومراعاتها كي يُعبّد الطريق بعد أن تحدد أهدافه ومساراته وتذلل عقباته .. فالطريق إلى الله لا يمكن أن تكون خبط عشواء .. ولا تكفي فيها النوايا المخلصة .. بل لا بد من مراعاة القوانين و(المعادلات الإنسانية) التي أسعفنا الله بها في القرآن الكريم .. وعلى هذا انطلقت في بحثي والله الموفق .

بتاريخ : ٢٠١٨/٢م

١٤٣٩/٦هـ

* * *

مدخل

سابداً بالتساؤل : - هل للنفس والمجتمع قوانين ؟

- وهل العلوم الإنسانية لها قوانين صارمة كالعلوم المادية ؟

حتى الآن يتشكك بعض المسلمين في كل العلوم . . فمنهم من يقول : العلم لا يوثق به لأنه ينفي اليوم ما اثبت بالأمس . . وربما تكمن المشكلة في الخلط بين النظرية والقانون . . فالنظرية افتراض لم تثبت صحته . . بينما القانون يأتي كمرحلة تالية عندما يبرهن على النظرية ويصبح بالإمكان تسخيرها والإفادة منها . . وعندها تصبح القضية علماً . . والعلم ينمو ويتطور لكن لا ينفي اليوم ما اثبت بالأمس . . لقد كشف العلم تركيب الماء من الأوكسجين والهيدروجين بنسب محددة . . . (مثلاً) . . وكشف قوانين كثيرة في الأرض والسماء . . لكنه لم يكشف كل شيء بعد . . وقوانين الله ثابتة في الكون والحياة لكن إدراكنا لها يتغير بحسب التقدم في البحث وكشف ما لم نكن نعلم . . وقد تزداد السنن والقوانين مع التقدم العلمي والنمو في التصنيع والتسخير . . لكنها لا تهدم ما سبقها وقد أخبرنا الله عن ذلك ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ [فاطر : ١] . . . ولا شك بأن التقدم في التسخير قد ابتكر كثيراً من الأساليب الجديدة كتطور وسائل المواصلات وأجهزة التواصل وطرق التعلم . . إلخ . . بحيث تنسخ الأساليب الجديدة ما سبقها لأنها الأفضل . . لكن هذا كله لا يعني أن العلم لا قوانين له ولا يوثق به . . بل هو الذراع الأقوى للإنسان في حياته على الأرض .

وربما تكمن المشكلة في كون العلوم الإنسانية لم تزدهر بعد كما ينبغي . .

والأبحاث فيها لم تصل إلى قوانين كثيرة . . لأن الناس ركزوا على العلوم المادية أكثر (آيات الآفاق) . . لكن عدداً من الأمم قد طورت حياتها بتطورها في هذه العلوم . . والدراسات في هذا المجال تتطور وتتقدم . . فكيف نتردد ونتخلف والله يأمرنا بالإقدام ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

ولهذا سابدأ من أمر أكدّه القرآن . . وهو ثبات سنن الله في الحياة . . من خلال حديثه عن عواقب الأفراد والأمم . . فالعواقب مرتبطة بما يقوم به الناس من أسباب . . إنه القانون الذي اختاره الله لحياة هذا الإنسان على الأرض . . وسأعرض الآيات الواردة في تأكيد هذا الأمر فيما يلي .

في القرآن خمس آيات تنص بشكل صريح على ثبات سنن الله وقوانينه في الحياة . وهي :

- ﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٧] .
- ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٢] .
- ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر : ٤٣] .

- ﴿ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر : ٨٥] .

- ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الفتح : ٢٣] .

كما يرد تأكيد سنن الله في خمسين موضعاً من القرآن الكريم ولكن بعبارات أخرى كأن يقول : وعد الله . . أو جاء الحق وزهق الباطل . . أو العاقبة للمتقين . . أو : إن ربك لبلمرصاد أي قانون ربك حتمي الوقوع . . وما إلى ذلك - وسأسرد فيما يلي أرقام الآيات من السور التي وردت فيها هذه التأكيدات :

الأنعام : الآية ١١٥ - الأنفال : ٧ و ٨ و ٣٨ - يونس : ١٩ - ٣٣ - ٦٤ - ٨٢ - ٩٦ - ١٠٣

إبراهيم : ٤٧ - الحجر : ١٣ - النحل : ١ - الإسراء : ٥-٥٨-٨١-١٠٤
الكهف : ٥٥ - الأنبياء : ٩-١٨ - النمل : ٨٥ - القصص : ١٣-٦١
الروم : ٦-٦٠ - الأحزاب : ٣٨ - سبأ : ٥٤ - يس : ٧
الصفات : ٣١-١٧١ - ص : ٣-٨٨ - الزمر : ٧٤ - غافر : ٦-٥٥-٧٧
الشورى : ١٤-٢٤ - الزخرف : ٨ - الأحقاف : ١٨ - الذاريات : ٥٩
المجادلة : ٥-٢١ - الطلاق : ٣ - المرسلات : ٧-١٦-١٧-١٨
الأعلى : ١٨ - الفجر : ١٣-١٤

فهل بعد ذلك من شك في حتمية وصرامة قوانين العلوم الإنسانية . . ؟!

وهكذا تتبعت سنن الله في الحياة عبر آيات القرآن الكريم وجمعتها من كل سورة ثم صنفتها إلى مجالات عدة وخصصت لكل مجال فصلاً في هذا البحث ، وكل فصل يتضمن عدة أبواب وفق الترتيب التالي :

الفصل الأول : سنن العلاقة بين عمل الله وعمل العبد وفيه : ١- باب الهداية . ٢- باب الضلال . ٣- باب الخسارة . ٤- باب تحول النعم إلى عذاب . ٥- باب الفلاح . ٦- باب محبة الله ومعيته .

الفصل الثاني : سنن استخلاف الإنسان . وفيه : ١- سنن تتعلق بطبائع الإنسان . ٢- سنن الصحة النفسية . ٣- سنن استخلاف الإنسان .

الفصل الثالث : سنن تتعلق بالمجتمع (تنمة لاستخلاف الإنسان والأمة)

الفصل الرابع : سنن تتعلق بالفرد والمجتمع .

الفصل الخامس : استنتاجات من كل ما سبق .

خاتمة .

وأبدأ بتسجيل الجدول التالي الذي يحصي أعداد ورود السنن في سور القرآن الكريم .

اسم السورة	العدد	اسم السورة	العدد	اسم السورة	العدد	اسم السورة	العدد
البقرة	٦٤	القصص	٢٨	القمر	١٥	المطففين	٣
آل عمران	٤٣	العنكبوت	٢٠	الرحمن	١	الانشقاق	٣
النساء	٣٥	الروم	٢٠	الحديد	١٠	البروج	٣
المائدة	٢٨	لقمان	٨	المجادلة	١٠	الطارق	١
الأنعام	٣٣	السجدة	٤	الحشر	١٠	الأعلى	٥
الأعراف	٤٨	الأحزاب	١٧	المتحنة	٥	الغاشية	٢
الأنفال	٣١	سبا	١٢	الصف	٨	الفجر	٥
التوبة	٤١	فاطر	١٢	الجمعة	٥	البلد	٢
يونس	٣٢	يس	٦	المنافقون	٤	الشمس	٣
هود	٢٣	الصافات	١٧	التغابن	٥	الليل	٣
يوسف	١٦	ص	٨	الطلاق	٨	الضحى	١
الرعد	٩	الزمر	١٨	التحريم	١	الشرح	٢
إبراهيم	١٤	غافر	٢٠	الملك	٦	التين	٣
الحجر	١٢	فصلت	١٧	القلم	٤	العلق	٣
النحل	٣٠	الشورى	٢٠	الحاقة	٦	البينة	١
الإسراء	٢٥	الزخرف	١٤	المعارج	١	الزلزلة	٢
الكهف	١٨	الدخان	٥	نوح	٣	العاديات	١

اسم السورة	العدد	اسم السورة	العدد	اسم السورة	العدد	اسم السورة	العدد
مريم	١٣	الجاثية	٨	الجن	١٠	القارعة	١
طه	١٩	الأحقاف	٨	المزمل	٤	التكاثر	١
الأنبياء	٢٨	محمد	١٨	المدثر	٤	العصر	١
الحج	٢٣	الفتح	١٢	القيامة	١	الفيل	١
المؤمنون	١٢	الحجرات	٦	الإنسان	٣	قريش	١
النور	٢٢	ق	٤	المرسلات	٢	الكوثر	١
الفرقان	٨	الذاريات	٦	النازعات	٣	النصر	١
الشعراء	٢١	الطور	٤	عبس	٥		
النمل	٢١	النجم	٦	التكوير	١		

المجموع ٦٦٩ + ٣٢١ + ١٣٥ + ٥٠ = ١١٧٥

* * *

الفصل الأول

سنن العلاقة بين عمل الله وعمل العبد

ما زال المسلمون يتساءلون : هل الهداية والضلال بيد الله وحده ؟! وهل الإنسان مسير أم مخير ؟! ألم تنص عدد من الآيات على أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء ؟!

فأين العدالة الإلهية ؟! وكيف يثاب أو يعاقب من لا يملك من أمره شيئاً ؟! إن تقصّي آيات القرآن الكريم يخرجنا من هذه الدوامة . . ففيه تأتي آيات تذكر عمل الله وحده . . مثل قوله تعالى : ﴿ يهدي من يشاء ﴾ . . وفيه آيات تذكر عمل العبد وحده مثل قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا ﴾ . . وفيه آيات تذكر العاملين مرتبطين بعلاقة سببية ، بحيث يأتي عمل الله ثمرة وعطية لما قام به العبد من جهد وعمل ، مثل قوله تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ وقد أخبرنا الله تعالى أن هذا القرآن ﴿ منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ . [آل عمران : ٧] المتشابهات قد تلبس على الجاهلين فيقفون عندها محتارين . . وهي التي يستخدمها ﴿ الذين في قلوبهم مرض ﴾ لزرع الفتنة والتشويش في عقول البسطاء .

وأما الذين عندهم علم فيردون المتشابهات إلى المحكمات البيّنات فيفهمون الآيات كلها بشكل متكامل . . وذلك أن الآيات المحكمات تضع قواعد واضحة لا تحتمل التلاعب . . وهي التي تنص على مقاصد القرآن والمبادئ العليا للدين . . فالعدل الإلهي مبدأ أساسي في الدين . . والإرادة الإنسانية وقدرة الإنسان على الاختيار والعمل . . مؤهلات أعطيت للإنسان

ليستطيع القيام بالخلافة في الأرض . . وفي بحثي هذا سأسوق الآيات التي نصت على قوانين الهداية وقوانين الضلال . . .

والتي ينبغي أن تكون المرجع لكل من أشكل عليه شيء . . . فالقرآن يفسر بعضه بعضاً . . ونعوذ بالله من أن نكون من الذين ندد بهم الله بقوله : ﴿ الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ [الحجر : ٩٠ - ٩١] أي جعلوه مجزئاً مفرقاً بعضه عن بعض . . فلا يقدرّون على ربط أحكامه وقواعده ببعضها . . وبذلك يتوهون عن روح القرآن وجوهره . . ويعجزون عن الفهم الكلي المترابط لآياته .

على بركة الله سأنتقل مع آيات الله في هذا المجال . . وقد لاحظت أنه يمكن فرزها إلى عناوين خمسة ستكون أبواباً في هذا الفصل :

- ١- باب سنن الهداية . ٢- باب سنن الضلال . ٣- باب سنن الخسارة .
- ٤- باب الفلاح . ٥- باب محبة الله ومعيته .

* * *

باب : سنن الهداية

وقد صنفنا الآيات والسنن الواردة في الهداية إلى ست نقاط :

- ١- الهداية للمتقين . ٢- الهداية إلى الرشـد . ٣- لمن بذل جهده . ٤- بالخروج من الظلمات إلى النور . ٥- للخاصـعين . ٦- لمن أطاع الله ورسوله .

١- الهداية للمتقين :

(والمؤمنين والمسلمين والمهتدين) - وهي في تسعة عشر موضعاً :

- ١- البقرة : الآية من ٢ إلى ٥ . ٢- البقرة : الآية ٢١٣ . ٣- آل عمران : الآية ٢٠ .

- ٤- الأعراف : الآية ٥٢ . ٥- الأنفال : الآية ٢٩ . ٦- يونس : الآية ٩ .
- ٧- يونس : الآية ٥٧ . ٨- يوسف : الآية ١١١ . ٩- النحل : الآية ٦٤ .
- ١٠- النحل : الآية ١٠٢ . ١١- الكهف : الآية ١٣ و ١٤ . ١٢- مريم : الآية ٧٦ .

- ١٣- النمل : الآية ٢ . ١٤- النمل الآية ٧٧ . ١٥- الروم : الآية ٥٣ . ١٦- فصلت : الآية ٤٤ .

- ١٧- الفتح : الآية ٤ . ١٨- التغابن : الآية ١١ . ١٩- محمد : الآية ١٧ .

ويعتبر افتتاح سورة البقرة من أوضح ما ذكر في هذا المجال :

﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٢-٥] فهداية الله تأتي ثمرة

وهدية لهؤلاء الذين اتصفوا بالإيمان والعبادة والعطاء . .

- أما آية الأنفال ﴿إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ فقد تستشكل على القارىء . . ما هو الفرقان الذي يعد به المتقين . . ؟ بتصوري . . كل أمر أو حدث يجعلك تميز وتفرق بين الحق والباطل . . فهو وعد من الله بأن يسوق لك من الأسباب ما يعينك على الرؤية الواضحة للأمور . . وهذه هي الهداية . .

٢- الهداية إلى الرشـد :

(إلى الصراط المستقيم) وهي في ثلاثة عشر موضعاً .

- ١- البقرة : الآية ١٨٦ . ٢- آل عمران : الآية ١٩٠ . ٣- النساء : ٦٨ .
- ٤- النساء : الآية ١٧٥ . ٥- الحج : الآية ٥٤ . ٦- النمل : الآية ٩٣ . ٧- سبأ : الآية ٦ . ٨- غافر : الآية ٥٤ . ٩- الفتح : الآية ٢٠ . ١٠- الحجرات : الآية ٧ . ١١- ق : الآية ٨ . ١٢- الجن : الآية ٢ . ١٣- الجن : الآية ١٤ .

ولنتأمل كمثال على الهداية إلى الرشـد ما قالته الجن عندما استمعت إلى القرآن : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ...﴾ ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ الرشاد هو أن تسلك الصراط المستقيم لأنه يوصلك إلى أحسن النتائج بأقل وقت وجهـد وكلفة ولا شك بأن أولي الأبـاب هم الذين يصلون إلى هذه المرتبة لأنهم فعّلوا عقولهم وراقبوا الطرق كلها . . واستمعوا إلى كل ما يقال فاخـتاروا الأحسن . ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر : ١٧-١٨] .

٣- لمن بذل جهده :

(بالإحسان والصبر) وهي في تسعة مواضع :

- ١- البقرة : الآية ١٥٦ و ١٥٧ - ٢- آل عمران : الآية ١٠١ - ٣- الأنعام : الآية ٨٢ .

٤- الأنعام : الآية ٨٤ - ٥- الأعراف : الآية ٢٠١ - ٦- الحجر : الآية ٧٥ .

٧- العنكبوت : الآية ٦٩ - ٨- لقمان : الآية ٣ - ٩- الزمر : الآية ١٨ .

لنأخذ مثالا الآية من سورة الأنعام :

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢)

فلنتأمل كم يحتاج المؤمن إلى جهد كي لا يلوث إيمانه بأي ظلم بحق الخالق وبحق أي مخلوق ؟!

٤- الهداية بالخروج من الظلمات إلى النور :

وهي في تسعة مواضع :

١- البقرة : الآية ٢٥٧ - ٢- المائدة : الآية ١٦ - ٣- التوبة : الآية ١١٥ .

٤- الأنبياء : الآية ٤٨ - ٥- النور : الآية ٤٠ - ٦- الأحزاب : الآية ٤٣

٧- الحديد : الآية ٩ - ٨- الحديد : الآية ٢٨ - ٩- الطلاق : الآية ١١ .

ولنتأمل هذا النموذج الرائع الذي جمع بين عطايا عديدة من الله عز وجل :

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة : ١٦] .

فالهداية لمن اتبع رضوان الله وبحث عنه وتحراه فأوصله الله إلى طرق السلام وأخرجه من الظلمات إلى النور وهداه إلى صراط مستقيم . . ! اللهم اجعلنا منهم .

٥- للخاشعين : (ولمن أناب)

وهي في أربعة مواضع :

١- الرعد : الآية ٢٧ - ٢- الزمر : الآية ٢٣ - ٣- الشورى : الآية ١٣ - ٤-

الأعلى : ١٠ .

فلنتأمل النموذج الخاشع في سورة الزمر : ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي نَقْشَعِرٍّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٢٣) .

الله نزل القرآن وهو أحسن الحديث ويقر بذلك العلماء والبسطاء والخاصة والعامّة إن لم يكونوا من المكابرين أو الضالين . . ويصف الله هذا الكتاب بأنه (متشابه) . . قد تكون الكلمة إشارة إلى بعض التشابه بين آياته . . لكن الأولى أن نقول أن المعنى مثل ما جاء في أول سورة آل عمران : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ (٧) أي يشبهه معناها على الجاهلين . والله أعلم .

والمثاني : هي التي تُثنى وتعاد وتكرر تلاوتها ومع ذلك فإن أثرها ساري المفعول في نفوس الذين يخشون ربهم . . تقشعر جلودهم من آيات الله تارة . . وتلين جلودهم وقلوبهم تارة أخرى . . تفاعل رائع ومتجدد مع كلام الله سبحانه . . فكيف لا ينالون الهدى ؟ !

٦- لمن أطاع الله ورسوله : (الاتباع للنبي)

وهي في أربعة مواضع .

١- الأعراف : الآية ١٥٨ . ٢- طه : الآية ١٢٣ . ٣- النور : الآية ٥٤ .

٤- لقمان : الآية ٥

فلنقرأ الآية ١٥٨ من سورة الأعراف :

﴿ قُلْ يَتَايَأُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ إنه النداء للناس جميعاً أن يؤمنوا بالله ورسوله ويتبعوا رسوله ففيه الهداية والرشاد . . .

* * *

باب سنن الضلال

وقد صنفنا السنن الواردة في الآيات عن الضلال إلى ست نقاط :

- ١- للفاسقين وأتباع الهوى والشيطان . ٢- للظالمين والمتكبرين .
- ٣- للكافرين والمشركين . ٤- للمجرمين والماكرين والسفهاء .
- ٥- لمن أطاع الكبراء . ٦- الذين طبع الله على قلوبهم .

١- للفاسقين وأتباع الهوى والشيطان :

وجاء ذلك في ثلاثة وعشرين موضعاً من القرآن .

- ١- البقرة : الآية ٢٦ . ٢- المائدة : الآية ١٠٨ . ٣- الأنعام : الآية ٥٦ .
- ٤- الأعراف : الآية ٣٠ . ٥- الأعراف : الآية ١٧٥ . ٦- الأعراف : الآية ١٧٦ . ٧- التوبة : الآية ٢٤ . ٨- التوبة : الآية ٨٠ . ٩- التوبة : الآية ١٢٧ . ١٠- يونس : الآية ٣٣ . ١١- إبراهيم : الآية ٣ . ١٢- الكهف : الآية ٢٨ . ١٣- طه : الآية ١٦ . ١٤- الحج : الآية ٣ و ٤ . ١٥- القصص : الآية ٥٠ . ١٦- الروم : الآية ٢٩ . ١٧- الأحزاب : الآية ٣٦ . ١٨- ص : الآية ٢٦ . ١٩- الجاثية : الآية ٢٣ . ٢٠- المجادلة : الآية ١٩ . ٢١- الصف : الآية ٥ . ٢٢- المنافقون : الآية ٦ . ٢٣- الأعلى : الآية ١١ .

وأذكر مثلاً من هذه المجموعة الآيتين : ١٧٥ و ١٧٦ من سورة الأعراف :

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشأ فَٱفسلخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلضَّالِّينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ ءَخَذَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَٱسْلَخْنَاهُ مِثْلَ ٱلْكَلابِ إِن يَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مِثْلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ

يَتَّيْنَانِ فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ صورة دقيقة مرسومة لنمط من الناس . . تأتيهم آيات الله وتعرض عليهم بيّنة مشرقة . . لكنهم ينسلخون منها - وكأنها كانت لباساً ملتصاقاً بهم - ويتسلط عليهم الشيطان ويغويهم حتى ينحطون إلى الحضيض ويلتصقون بالأرض . . وذلك أمر لم يكن الله يرغب به للناس ولهذا أنزل إليهم الآيات ليرفعهم بها . . لكنهم اختاروا اتباع الهوى والسقوط في براثنه . . ويضرب لهم مثلاً بالكلب . . إن تهاجمه يلهث وإن تركته يلهث . . فلا يمكن إنقاذه وإصلاح حاله . . أفلا تعتبرون مما يقصه الله عليكم . . ؟! والله يأمرك أيها الداعي أن تقص عليهم أخبار الأمم والسابقين وتضرب لهم الأمثال . . لعلهم يتفكرون ويهتدون . .

- ومثال آخر من هذه المجموعة يحدد الله فيه من هم الفاسقون :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤]

الفاسقون هم الذين أعطوا الأولوية لغير الله ورسوله . . فضاع منهم توحيد الله . . وفقدوا مركزية الإيمان والتزاماته .

٢- للظالمين ولمن تكبر في الأرض :

وقد سجلت في هذا المجال سبعة عشر موضعاً :

- ١- البقرة : الآية ٢٥٨ . ٢- آل عمران : الآية ٨٦ . ٣- المائدة : الآية ٥١ . ٤- الأنعام : ١٤٤ . ٥- الأعراف : الآية ١٤٦ . ٦- الأعراف : ١٨٦ . ٧- التوبة : الآية ١٩ . ٨- التوبة : الآية ١٠٩ . ٩- إبراهيم : الآية ٢٧ . ١٠- القصص : الآية ٥٠ . ١١- لقمان : الآية ١١ . ١٢- غافر : الآية ٥٦ . ١٣- الأحقاف : الآية ١٠ . ١٤- الأحقاف : الآية ٣٢ . ١٥- الفتح : الآية ٢٦ . ١٦- الصف : الآية ٧ . ١٧- الجمعة : الآية ٥ .

من هذه الآيات الآية ١٤٦ من الأعراف :

﴿ سَاصِرِفُ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ من هؤلاء المحرومون من معونة الله المحجوبون من رؤية آيات الله . . ؟ !

إنهم المكذبون بآيات الله استكباراً واستعلاء . . وانظر إلى كبريائهم كيف حرمتهم من رؤية أي خير . . حرمتهم من آيات الله ومن الرشاد . . وساقطهم إلى الغي والتكذيب . . فكيف يرحمهم الله وهم لا يرحمون أنفسهم . . ؟ ! وكيف يهديهم الله وقد رفضوا كل سبيل للهداية . . ؟ !

وفي موضع آخر يحدد الله سبحانه لنا مشيئته : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

إن سنة الله في مشيئته أن يثبت الذين آمنوا على الخير . . ويضل الله الظالمين . . فمن وجد خيراً فليحمد الله . . ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه .

- وقد تشكل علينا الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّكَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [غافر : ٥٦] .

هؤلاء يجادلون في آيات (بغير سلطان) أي بغير علم . . فمن كان له علم نال ما يريد وكان له سلطان . . فما هو الدافع لهم . . وما الذي يصرفهم عن التصديق . . ؟ إنه الكبر والاستعلاء . . فأين العاقبة هنا . . وأين الضلال الذي يحكم الله به عليه ؟ ! إنه كامن في سنة الله : (ما هم بباليغية) فلا بد أن

يسقطوا... إن الاستكبار في الأرض مرض خطير وجرم كبير... لأنه لا يظلم الضعفاء فقط... بل يظلم نفسه ويحرمها من بركات العلم والاهتداء إلى الحق... يحرمها من عواقب الخير في الدنيا والآخرة.

- وفي سورة الفتح يمنح الله الكافرين صفة وخيمة تؤدي بهم إلى ضلال مبين ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ [الفتح : ٢٦] إنها ضلال الحمية الجاهلية .

٣- للكافرين والمشركين :

وقد جمعت في هذا المجال ست عشرة آية :

- ١- البقرة : الآية ١٠٨ . ٢- البقرة : ٢٦٤ . ٣- النساء : الآية ١١٦ . ٤- النساء : الآية ١٣٦ . ٥- النساء : الآية ١٦٧ . ٦- المائدة : ١٢ . ٧- المائدة : الآية ٦٧ . ٨- الأنفال : الآية ٢٣ . ٩- التوبة : الآية ٣٧ . ١٠- الرعد : الآية ٣٣ و ٣٤ . ١١- النحل : الآية ٩٩ و ١٠٠ . ١٢- النحل : الآية ١٠٤ . ١٣- النحل : الآية ١٠٧ . ١٤- الحج : الآية ٣١ . ١٥- الزمر : الآية ٣ . ١٦- غافر : ٧٤ .

وفي الآية ٢٦٤ من البقرة نلاحظ أن الله أطلق الكفر على الرياء :

﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾... فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار... والرياء هو الشرك الخفي .

- وفي موضع آخر لا يصرح بالكفر عن طائفة من الناس... وإنما يرسم لهم ورة ويحكم عليهم : ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال : ٢٢-٢٣] .

فهم شر المخلوقات التي تدب على الأرض لأنهم عطلوا وسائل المعرفة التي أنعم الله عليهم بها . . فهم لا يسمعون آيات الله . . ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم . . لكنهم ولو سمعوا سيعرضون .

٤- للمجرمين والماكرين والسفهاء : (والذين يجادلون بغير علم)

وقد سجلت في هذا المجال ثمان آيات :

١- الأنعام : ١٤٠ . ٢- إبراهيم : ٤٦ و ٤٧ . ٣- الحجر : ١٢ و ١٣ . ٤- الحج : ٨ و ٩ . ٥- غافر : ٢٨ . ٦- غافر : ٣٤ . ٧- فصلت : ٥٢ . ٨- الجن : ٦ .

ففي سورة الأنعام يندد بنوع من المجرمين : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ . كانوا يقتلون أولادهم خشية القفر - وقد عرف وأد البنات عند الجاهلين - فيقول عنهم الله أنهم سفهاء يتصرفون بغير علم^(١) . .

كذلك فإنهم كانوا يعتدون على حاكمية الله فيحللون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله . . هؤلاء الجاهليون موجودون في كل عصر . . يقتلون أولادهم بحرمانهم من الأهداف النبيلة وتكريسهم للضلال والإضلال والإفساد في الأرض . . وما أتعس الإنسان حين يصبح مثله الأعلى جمع المال . . وبعض غلاة المتصوفة حرّموا على أنفسهم ما رزقهم الله من طيبات الحياة الدنيا . . فضلوا وأضلوا . .

- وفي سورة إبراهيم (٤٦ و ٤٧) لا يصرح الله بضلال الماكرين . . لكن يفهم ذلك من سياق الآيات : ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ

(١) فتأمل كيف تقود السفاهة وقلة العلم إلى ارتكاب الجرائم . . ١١ .

كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ * فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١١﴾ . فلقد وصل بهم مكرهم مبلغاً عظيماً . . . وعتوا عتواً كبيراً . . . لقد صنعوا السلاح النووي الذي يدمر الجبال . . . بل يمكن أن يدمر الأرض كلها . . . لكن ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ فهو مسجل عنده وسيحاسبهم . . . هذا ما يفهم لأول وهلة . . . ولنا أن نفهم أن مكرهم هذا محكوم بسنن الله . . . (عند سنن الله يُحَكَّمُ على مكرهم) . . . وقد أخبرنا الله عن شيء من سننه في الماكرين . . . فقال سبحانه ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ .

- وفي سورة الحجر (١٢ و ١٣) : ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ إن قانون الله نافذ ينتظم قلوب كل المجرمين في سلك واحد . . . فهم لا يؤمنون وسيهلكون كما هلك الأولون . . . وكلمة (كذلك) تؤكد سريان سنة الله . . . فيفعل بالثاني كما فعل بالأول .

- وفي سورة الحج يحدثنا عن نمط من الضالين : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (٨ و ٩) يجادل وهو خاوي من أي رصيد من علم أو هدى أو كتاب منير . . . (ثاني عطفه) في إعراض واستكبار يتبغي إضلال الناس . . . لكن كيده لا ينطلي إلا على الجاهلين المغفلين . . .

- والذين يولعون بالجدل والشقاق تنالهم سنة الله في الضلال : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت : ٥٢] .

كذلك السفهاء والجهال الذين كانوا يعوذون بالجن ويظنون أنهم يحمونها . . . فزادوهم رهقاً . . . وهو دأب شياطين الإنس والجن . . . من لاذ بهم أردوه في المهالك . . . فهل يخدع بهم عاقل . . . ١٩

٥- لمن أطاع الكبراء والسادة : (والأكثرية)

وهم المستضعفون الذين يدعمون الكبراء بطاعتهم . . وقد سجلت سنة الله فيهم في خمس آيات :

١- الأنعام : ١١٦ . ٢- طه : ٧٩ . ٣- الأحزاب : ٦٧ . ٤- الزخرف : ٥٤ . ٥- الممتحنة : ١ .

وأبرز مثال في هذا المجال ما ورد في سورة الأحزاب ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾ (٦٧) . . والقرآن رسالة تحرير للمستضعفين إذ جعلهم يملكون مفتاح التغيير بتنفيذ إجراء يقتضيه توحيد الله . . ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝ ﴾ [العلق: ١٩] . . فطاعة الله وحده تقضي على سلطان المستكبرين .

٦- الطبع على القلوب :

وقد جمعت في هذا المجال أربع عشرة آية :

١- النساء : الآية ١٥٥ . ٢- المائدة : الآية ١٣ . ٣- الأعراف : الآية ١٠٠ . ٤- الأعراف : الآية ١٠١ . ٥- التوبة : الآية ٨٧ . ٦- التوبة : الآية ٩٣ . ٧- يونس : الآية ٧٤ . ٨- النحل : الآية ١٠٨ . ٩- الإسراء : الآية ٤٥ و ٤٦ . ١٠- الكهف : الآية ٥٧ . ١١- الروم : الآية ٥٩ . ١٢- غافر : الآية ٣٥ . ١٣- محمد : الآية ١٦ . ١٤- المنافقون : الآية ٣ .

- ففي سورة النساء (١٥٥) أسباب الطبع على القلوب نصت عليها الآية :

﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فهي سنة الطبع - أو الختم - على القلوب .

- وفي سورة المائدة (١٣) عبر عن (الطبع) بـ (قسوة القلوب)

﴿ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ .

- وأما في سورة الإسراء (٤٥ - ٤٦) فيصرف الله الآيات ويأتي التعبير بأسلوب آخر :

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتَ بِرَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِّثْ وَلَوْ عَلَى أَنْ أَدْبَرْتَهُمْ نُفُورًا ﴾ * إن عدم إيمانهم بالآخرة تسبب في وضع حجاب سميك بينهم وبين القرآن . . وإحاطة قلوبهم بأكنة تمنعهم من فقه القرآن . . وكأن في آذانهم صمم . . لم يستفيدوا من وسائل المعرفة التي وهبها الله لهم . . فعطلها الله ووضع عليها الأغطية والأحجبة . . فلم تعد تفيدهم بشيء . . .

* * *

باب سنن الخسارة

ويمكن أن نلاحظ الخسارة في خمسة مجالات :

- ١- الخسارة والعذاب بسبب الكفر والذنوب .
- ٢- الهلاك بالظلم والتكذيب وطاعة الكفار .
- ٣- تحول النعم إلى عذاب وحبوط الأعمال .
- ٤- الوقوع بالعداوة والبغضاء والفساد لمن كذب وافترى .
- ٥- الخسارة بإغلاق وسائل المعرفة .

١- الخسارة والعذاب بسبب الكفر والذنوب :

(اللعنة - الذلة والمسكنة - الجوع والخوف)

وقد أحصيت ذلك في أربعة وثمانين موضعاً من القرآن :

البقرة : ١- الآية ١٦- ٢- الآية ٦١- ٣ الآية : ٨٥ - ٤- الآية : ٨٨ - ٥-
الآية : ١٢١ آل عمران : ١- الآية : ١١- ٢- الآية : ١٢- ٣- الآية : ١٩- ٤-
الآية : ٥٦- ٥- الآية : ١١٢- ٦- الآية : ١٥١- ٧- الآية : ١٦٥- المائدة : ١-
الآية : ١٨- ٢- الآية : ٤٩- الأنعام : ١- الآية : ٤٩- ٢- الآية : ١٢٥-
الأعراف : ١- الآية : ٩٦- ٢- الآية : ١٠٠- ٣- الآية : ١٥٢-

الأنفال : ١- الآية : ٧- ٢- الآية : ١٣- ٣- الآية : ١٨- ٤- الآية : ١٩- ٥-
الآية : ٣٥- ٦- الآية : ٣٦- ٧- الآية : ٥٢- ٨- الآية : ٥٤- ٩- الآية : ٧١-
التوبة : ١- الآية : ٧٤- ٢- الآية : ١٢٥- يونس : الآية : ٢٧- هود : الآية

٨ - الرعد : الآية ٣١ - إبراهيم : ١ - الآية : ٧ - ٢ - الآية : ١٣ - ٣ - الآية : ٢٨ - الحجر : من ٨١ إلى ٨٤ - النحل : ١ - الآية : ٨٨ - ٢ - الآية : ٩٤ - ٣ - الآية : ١١٢ - الإسراء : الآية ٢٢ - الكهف : الآية : ٨٧ - مريم : ٥٩ - طه : ١ - الآية : ٤٨ - ٢ - الآية : ٨١ - ٣ - الآية : ١٢٤ - الأنبياء : ١ - الآية : ٤١ - ٢ - الآية : ٧٧ - الحج : الآية : ٩ - النور : ٢٣ - الشعراء : الآية : ٦ - الآية : ٢١٣ - الروم : الآية : ٤٧ - السجدة : الآية : ٢١ - سبأ : الآيتان : ١٦ و ١٧ - فاطر : ١ - الآية : ١٠ - ٢ - الآية : ٢٦ - ٣ - الآية : ٣٩ - ص : الآية : ١٤ - الزمر : الآيتان : ٢٥ و ٢٦ - الآية : ٦٣ - غافر : ١ - الآية : ٥ - ٢ - الآية : ٢٢ - ٣ - الآية : ٤٥ - ٤ - الآية : ٨٣ - ٥ - الآية : ٨٥ - فصلت : الآيتان : ١٦ و ١٧ - الشورى : الآية : ٢٦ - الزخرف : ٤٨ والآية : ٥٥ - الجاثية : ١ - الآية : ٨ - ٢ - الآية : ١١ - ٣ - الآية : ١٩ - الأحقاف : ٢٦ - ٣٥ - الذاريات : ٤٤ - الملك : ٢٧ - القلم : ٣٣ - نوح : ٢٥ - الغاشية : ٢٣ و ٢٤ - الشمس : ١٤ - الليل : من ٨ إلى ١١ - الكوثر : ٣ .

ونلاحظ أن سنة الخسارة لا تنطبق على الكافر وحده . . بل وعلى المؤمن إن أذنب وأثر الدنيا .

وأبرز مثال على ذلك ما حصل للمسلمين يوم أحد من هزيمة وإصابات وجراح . . حين خالفوا أمر النبي ﷺ طمعاً في الغنائم كما نصت الآية ١٦٥ من آل عمران : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . .

وكان المسلمون قد انتصروا بيدرو وألحقوا بالمشركين من الخسائر مثلي ما أصابهم من خسائر في أحد . . وكانت الصدمة السننية شديدة الأثر على نفوسهم حتى تساءلوا محتارين : - كيف حدث هذا ؟! ألنا نحن المسلمين . . ؟! وهم الكافرون ؟! فكيف نهزم وينتصرون . . ؟!

كان درساً واقعياً وضرورياً ليتعلم المسلمون أن سنن الله لا تحابي أحداً . .
وأن المخالف لأوامر النبي لا بد أن يجني نتيجة مخالفته في الدنيا فإن صحا
وتاب غفر له في الآخرة . . أما في الدنيا فعليه أن يتعلم سنة الله ويلتزم
بالأسباب ليصل إلى النتائج . . وقد كشف العلم أسباباً كثيرة للنجاح تضاف إلى
أوامر النبي ﷺ .

- والرعب خسارة وعذاب وسببه الشرك بالله : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ
كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ [آل عمران : ١٥١] . .
فالمشرك لا يؤمن بأن النفع والضرر بيد الله وحده . . بل يظن أن السادة والطغاة
هم الذين يحددون مصيره ونجاته أو سقوطه . . فتراهم مرعوبون من كل
شيء . . يتوجسون شراً من كل كلمة أو حركة تصدر من هذا الرئيس أو ذاك
المستكبر . . بل لا يثقون بأحد فقد يكون عميلاً يتجسس ويكتب التقارير . .
وهكذا يؤرقهم الرعب وتزلزلهم الهواجس . . .

- وينزل الله آياته على الناس ليهديهم ويعينهم على أداء دورهم الذي ارتضاه
لهم في إصلاح الأرض وتعميم الخير . . . ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ
كَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٤ - ١٢٥] . . فتأمل كيف يصبح القرآن سبباً في زيادة
الإيمان للمؤمن وزيادة في الإثم والرجس لمن لم يطهر قلبه من الأمراض
الفكرية والنفسية . . !!

- إن الأعمال السيئة لا يمكن أن تثمر إلا نتائج سيئة ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ
جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلَهَا وَتَرَهَّقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ
مُظْلِمًا . . ﴾ [يونس : ٢٧] ما لهم من سنة الله من يعصمهم ويحميهم . . حتى أن
السيئات تنعكس على قسّمات وجوههم بالقتامة والانقباض . . إنها لغة الجسد
تنطق بأفكارهم وأعمالهم السيئة . . (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم

ثم أوفيكُم إياها . . فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه (١) .

- ولا بد من الانتباه إلى أن الندم على الذنوب لا يحميك من العواقب الدنيوية لأعمالك . .

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُمُ مَّا كُفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر : ٨٤ - ٨٥] .

قد ينفع الندم إن علّمك اجتناب الكفر والسيئات . . وقد ينفع في الآخرة إن أوصلك إلى التوبة . . وأما في الدنيا فلا بد أن تؤتي الأعمال ثمارها . .

٢- الهلاك بالظلم والتكذيب وطاعة الكفار :

(النسيان - الإسراف - ظلم النفس)

وقد جمعت في هذا المجال أكثر من ثمانين آية في خمسة وسبعين موضعاً :

البقرة : ١- الآية : ٥٧- ٢- الآية : ٥٩- ٣- الآية : ١١٤- ٤- الآية : ٢٣١ (وتنص على خطر الظلم في الأسرة) .

آل عمران : ١- الآية : ١١٧- ٢- الآية : ١٤٩- النساء : الآية : ١٩ (وتنص على خطر الظلم في الأسرة) الأنعام : ١- الآية : ٢١- ٢- الآية : ٤٧- ٣- الآية : ١٣٥- الأعراف : ١- الآية : ٥- ٢- الآية : ١٣٧- ٣- الآية : ١٦٠- ٤- الآية : ١٦٥- الآية : ١٧٧- التوبة : ١- الآية : ٦٧- ٢- الآية : ٧٠- يونس : ١- الآية : ١٣- ٢- الآية : ١٧- ٣- الآية : ٢٣- ٤- الآية : ٤٤- هود : ١- الآية : ١٠٢- ٢- الآية : ١١٣- ٣- الآية : ١١٧- يوسف : الآية : ٢٣- إبراهيم : ١-

(١) مختصر مسلم للمنذري - رقم ١٨٢٨ .

الآية : ١٠٢-٢- الآية : ١٥- الحجر : الآيتان : ٧٨ و ٧٩- النحل : ١- الآية : ٣٣
و ٣٤- ٢- الآية : ١١٣- ٣- الآية : ١١٨- الكهف : الآية : ٥٩- الأنبياء : ١-
الآية : ٩- ٢- ١٤ و ١٥ الحج : الآية : ٧١- المؤمنون : الآية : ٤٨- الشعراء :
١- الآيتان ٢٠٨ و ٢٠٩- ٢- الآية : ٢٢٧ النمل : ١- الآيتان ٥٠ و ٥١- ٢- الآية :
٨٥- القصص : ١- الآية : ٣٧- ٢ الآية : ٥٩ العنكبوت : ١- الآية : ١٤- ٢
الآية : ٣١- ٣- الآية : ٤٠- الروم : الآية : ٩ سبأ : الآية : ١٩- يس : الآيتان :
٢٨ و ٢٩- الزخرف : الآيتان : ٧ و ٨- ٢- الآيتان : ٣٦ و ٣٧- ٣ الآية : ٧٦- ق :
الآية : ١٤- الذاريات : الآيتان : ١٠ و ١١- ٢- الآية : ٥٩- الطور : الآية ٤٧-
النجم : الآيات من ٥٠ إلى ٥٢- القمر : ١- الآية : ٣٧- ٢- الآية : ٤٢- ٣-
الآيتان : ٤٤ و ٤٥ المجادلة : الآية : ١٩ و ٢٠- الحشر : الآية : ١٩-
المتحنة : الآية ٩- الطلاق : الآية ١ (الظلم في الأسرة) الحاقة : الآيات من ٤
إلى ٦- الآية : ١٠- الجن : الآية : ١٧- المزمل : الآية : ١٦- الإنسان : ٣١
المرسلات : الآيات من ١٥ إلى ١٨- النازعات : الآيتان : ٢٤ و ٢٥- الإنشقاق :
الآيات من ٢٢ إلى ٢٤ البروج : الآيات من ٤ إلى ٧- والآيتان : ١٩ و ٢٠- الفجر :
الآيتان : ١٢ و ١٣- العلق : الآيات من ١٣ إلى ١٥ .

نلاحظ العواقب الوخيمة للظلم وخطره على الحياة الاجتماعية في الأمة
وخاصة في نطاق الأسرة :

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ
ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٣١] .

كيف يمكن إيقاف الظلم في الأمة إن كان الظلم يعيش في خلاياها
الأولى : الأسر . . ١٩

إن الأطفال - وهم جيل المستقبل وبُناته - إن نشأوا في أسرة تثن أركانها من وطأة الظلم . . لا بد أن يترسخ الظلم في أعماقهم . . يمارسونه بعد ذلك عند شبابهم . . فهم إما ظالمون أو ضعفاء حاقدون يتربصون الفرص للانتقام . . أليس هذا ما تحذر منه الآية : ﴿ وَلَا تُسْكُوهُنَّ ضَرَارًا لِّعَعْدُوهُنَّ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ ؟! فتأمل كيف يحاط بالحكم بالتحذير من التلاعب بآيات الله . . والتذكير بنعمة إنزال الكتاب والحكمة ليعلمكم ويحذركم من زرع بذور الشقاء في الأسرة ثم في الأمة . . وملاك ذلك كله تقوى الله الذي يعلم السر وأخفى . . فتذكر قد تخدع الناس وتخفي عنهم الحقيقة . . لكن هل تملك خداع الله . . ؟!

- وكذلك تأتي الآية ١٩ من سورة النساء . . لتحذر من ظلم النساء وترغب في إكرامهن حتى في حالة الكراهية . . فإن ضبط الكراهية والانتصار عليه بالإحسان هو الذي ينبت الخير الكثير الذي لا يظهر إلا بعد حين :

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . . إنه النهي عن ممارسة أي ضغط على نساء الأسرة لاغتصاب أموالهن . . والأمر بالتعامل بالمعروف والإحسان حتى في حالة الكراهية . . فالمؤمن سيد عواطفه وليس عبدًا لها .

وكذلك يأتي النهي في أول سورة الطلاق عن إخراج المطلقات من البيوت . . والسورة كلها تحذر من ظلمهن .

﴿ وَكَاتِنٍ مِّن قَرْيَةٍ عَنَّ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا . . ﴾
(تأمل الآيات من ٨ إلى ١٠ من الطلاق) . .

- وهناك ظلم النفس والظلم بحق الله . . ظلم النفس بحرمانها من العيش في كنف الله . .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام : ٢١] .

إنه الظلم العظيم : « إن الشرك لظلم عظيم » . . لأنه مصدر كل المظالم في حياة الفرد والأمة . والناس مهما أشركوا وظلموا وعصوا . . فإنهم يظلمون أنفسهم بالدرجة الأولى ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٠] . وتأمل رحمة الله بالناس حين تشتد عليهم الأمور : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أَحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغْيُكُم عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ . . ﴾ [يونس : ٢٢-٢٣] .

إن كثيراً من الناس مصابون بقصر النظر فلا يرون إلا النتائج السريعة العاجلة فيقعون في الظلم والبغي بحق الناس ويظنون أنهم رابحون . . لكن سرعان ما تأتي النتائج البعيدة المدى وينكشف الأمر بأنهم قد زرعوا الظلم حتى نما واستفحل وأصبح ثقافة سائدة في الأمة تضرب مصالح الجميع . .

ولهذا يأتي التوجيه للنبي وأتباعه : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود : ١١٣] إياك أن تطغى . . وإياك أن تركز إلى الطغاة وتستعين بهم إنك بذلك تشاركهم وتدعم بقاءهم وبذلك تَمَسَّكَ النار التي أشعلوها في الأمة . . ولا تظن أنهم ينصرونك أو ينفعونك . . إن سنة الله ماضية ولا يقدر أحد أن يفلت منها . . (على الباغي تدور الدوائر) . ﴿ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ [إبراهيم : ١٣] .

- وظلم الغفلة عن ذكر الله ونسيان آياته وأوامره حتى يصبح المرء مطية

للشيطان ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ * إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿ [المجادلة : ١٩ - ٢١] إن سنة الله ماضية في نصرة الأنبياء وإرساء مبادئهم في الحياة الإنسانية . . تأملوا عبر التاريخ كم حاول شياطين الإنس والجن القضاء على الأديان السماوية والانتقاص من قدر الأنبياء . . ولكن دين الله باقٍ وأنبياءه مبجلون . . فلا يستخفك الذين لا يوقنون . . لأنهم هم المندثرون . .

٣- تحول النعم إلى عذاب وحبوط الأعمال :

وقد سجلت هذه السنة في اثنين وعشرين موضعاً :

آل عمران : ١ - الآية : ٢١ و ٢٢ - ٢ - الآية : ١٤٩ - المائدة : الآية : ٥ - الأنعام : الآية : ٨٨ - الأعراف : الآية : ١٤٧ - الأنفال : الآية : ٣٦ - التوبة : الآية : ٢٥ - ٢ - الآية : ٦٩ - ٣ - الآيات : ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ - ٤ - الآية : ٨٥ - إبراهيم : الآية : ١٨ - الإسراء : الآية : ٨٢ - الكهف : الآية : ١٠٥ - الشعراء : ٥٧ و ٥٨ - الأحزاب : الآية : ١٩ - الرمز : الآية : ٦٥ - فصلت : الآية : ٤٤ - محمد : ١ - الآية : ١ - ٢ - الآيتان : ٨ و ٩ - ٣ - الآية : ٢٨ - ٤ - الآية : ٣٢ - المنافقون : الآية ٩ .

- حين نبحت في أصل معنى (حبطت) نجد أن العرب كانوا يقولون حبطت الناقة إذا أكلت من نبات سام يجعلها تنتفخ - فيظن بأنها سممت - ثم تموت . . فيشبه الله أعمال الكافرين ومن سار على خطاهم بذلك . . فهم يعملون أعمالاً يظنون أنها رابحة - وهي النظرة العاجلة القاصرة التي لا تتابع الأحداث إلى نهايتها - لكنها لا تلبث أن تسوقهم إلى الخسارة . وهكذا تتحول النعم إلى عذاب كما تنص الآية ٣٦ من الأنفال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ . . .

وهكذا تضيع الأموال هباء وراء الأهداف الخسيسة . .

وحتى المؤمنون معرضون لتحول النعم إلى عذاب إن اختلت موازينهم وضعف اتصالهم بالله . . انظر إلى ما حل بهم يوم حنين ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ [التوبة : ٢٥] أعجبتهم الكثرة فاسترخت النفوس وغابت اليقظة وضعف التضرع لله . . فأصبحت الكثرة مصدر فوضى وبلبلة . . وتدافع إلى الهروب والفرار .

- ولنتأمل قول الله في الآية ٨٥ من التوبة : ﴿ وَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ . . وكيف تصبح الأموال والأولاد مصدر عذاب في الدنيا قبل الآخرة . . لأن هذه النعم حين تسخر للأهواء ونشر الفساد توقع أصحابها في العذاب . . وحين تربى ابنك على حب المال والتكالب عليه . . فسيرميك ويتخلى عنك حين تكون في أمس الحاجة إليه . . وحين لا تهتم في غرس الإيمان بالله والتخلق بالفضائل في نفوس أولادك فإنهم سيوقعونك في المشاكل والمتاعب . . وحين يغيب الإيمان بالله وتنعدم التقوى من النفوس يصبح المال أشد وبالاً على الإنسان من الفقر .

- وحين تفتقر الأعمال إلى الأهداف النبيلة . . وينقطع الإنسان عن ربه تصبح أعماله رياء وطلباً لمصالح مادية أنانية . . فينطبق عليهم قول الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَافُ الْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم : ١٨] .

- بل إن نعمة القرآن ونزوله هداية للعالمين تنقلب إلى نقمة وخسارة للكافرين : ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢] لأنهم يجعلون القرآن (عضين) مقطعاً محرّفاً لا يدخلون إلى روحه ونظامه فلا يجاوز حناجرهم إن قرأوه . . وتأمل حال المتشددین كيف

يصبح القرآن عليهم عمى حين يتشبثون بحرفية النصوص ويغيب عنهم أنه شفاء ورحمة .

٤- الوقوع بالعداوة والبغضاء والفساد لمن كذب وافترى ونسى أحكام الله .

وقد تتبعت السنن في هذا المجال في ثلاثة عشر موضعاً :

المائدة : ١- الآية : ١٤- ٢- الآية : ٣٠- الأنعام : الآية : ١٤٠- يونس :
١- الآية : ٤٥- ٢- الآية : ٩٥ طه : الآية : ٦١- المؤمنون : الآية : ٧٤-
النمل : الآيتان : ٤ و ٥- سبأ : الآية : ٨- والآية : ٥٤ الشورى : الآية ١٨-
محمد : الآية : ٢٢- الفجر : الآيات : ١١ و ١٢ و ١٣ .

ونرى في هذه الآيات كيف يقع الإنسان بقتل أخيه أو ابنه . . ويحرم الحلال
ويحلل الحرام . . كل ذلك حين ينسى أحكام الكتاب - الذي وصف بأنه الذكر
الحكيم - ويقع في الكذب والتكذيب والافتراء . .

٥- الخسارة بإغلاق وسائل المعرفة :

وقد أحصيت منها سبعة مواضع في القرآن :

البقرة : الآيتان : ٦ و ٧- الأنعام : الآية ٣٩- والآية : ١١٠- الأعراف :
الآية : ١٧٩- النمل : الآيتان : ٨٠ و ٨١- الزخرف : الآية : ٤٠ .

- فلتأمل هذه الصورة التي ترسمها الآية ١٧٩ من سورة الأعراف لمن غرقوا
بالكفر والتكذيب « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب
لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك
كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » . فقد امتاز الإنسان عن الحيوان
بهذه المواهب وعلى رأسها : القلوب التي تفقه الأحداث وتحللها لتعطي
الأوامر للجسد كي يتخذ الموقف المناسب . . فما أتعس الإنسان حين يعطل
هذه المواهب فلا ينتفع بها . . إنه ينتكس إلى درك أسفل من الحيوان بغفلته . .

إنهم الذين يقول الله عنهم : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [النمل : ٨٠ - ٨١] .

إنهم لم يفقدوا إنسانيتهم وحدها . . بل فقدوا حياتهم أيضاً . . وهل لحياة الإنسان قيمة إن أغلق عقله . . ؟!

وبعد فقد أكدت الآيات مرات عديدة أن الله لا يهلك إلا بعد إنذار « وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا » . . فهل يبقى للإنسان حجة للتنصل من المسؤولية عن فشله وأخطائه وما يجني من ورائها من عواقب . . ؟! إن الهروب من مواجهة الذات ومحاولة التبرير للأخطاء لن تنفع في الإنقاذ من عواقب الدنيا والآخرة . . بل إنها تؤخر حل المشاكل وتعوق التقدم . . فالتوبة لا تتحقق إلا بعد النقد الذاتي والقدرة على سماع النقد الموضوعي من الآخرين والاعتراف بالخطأ . . ومن المؤسف أن المسلمين اليوم غارقون في تعليق كل الأمور على إرادة الله . . والله يقول : لن أغير حتى تغيروا . . فإن انتبهوا قالوا كل ما يقع علينا هو من كيد أعدائنا . . تأمل كيف اتفق القرآن « قل هو من عند أنفسكم » مع الأحاديث الواردة من مثل : (من وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) . . وأقرّ بذلك الشيطان ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

ولن تتزحزح الأمور في الواقع حتى نبدأ بهذه الخطوة في محاسبة الذات .

* * *

باب : سنن الفلاح

وتناولته هنا من جانب العلاقة بين عمل الله وعمل العبد.. وسأعود للحديث عنه في فصل سنن الاستخلاف للفرد والأمة.. لتحديد أسباب الفلاح في الدنيا . أما هنا فتكون ضمن خمسة عناوين : ١- سنن العطاء الإلهي . ٢- سنن النصر . ٣- الفلاح بطاعة الله ورسوله (التزام صفات المؤمنين) . ٤- الفلاح ثمرة للصبر والمصابرة . ٥- الفلاح لمن زكى نفسه .

١- سنن العطاء الإلهي :

١- عطاء إلهي عام : ونلاحظه في سبعة مجالات :

البقرة : الآية : ٤٠- والآية : ١٢٤- الأنفال : الآية : ٦٠- يوسف : الآية : ٩١- الإسراء : الآية : ٢٠- الأنبياء : الآية : ٩- والآية : ٧٣- السجدة : الآية : ٢٤- الكوثر : الآية : ١ .

ففي الآية ١٢٤ من سورة البقرة : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ نجد إبراهيم قد نجح في الابتلاء فأعطاه الله الإمامة.. وبين السنة في ذلك « لا ينال عهدي الظالمين » والإمامة تختلف عن الملك والسيادة لأنها تتضمن محبة الناس والافتداء بالإمام.. وفي سيرة يوسف نجد الصبر الطويل والحب والإحسان.. فإذا بالتمكين من الله يصل الذروة في خضوع إخوة يوسف واعترافهم ببعده المسافة بين جرمهم وارتقائه وعلو مكانته.. ﴿ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ

ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩٠﴾ . فإذا بالقلب الطاهر الكبير
 ينبض : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾
 . [٩١-٩٠] .

- وفي سورة الإسراء نرى العجب . . إذ نجد أن سنة العطاء ليست خاصة
 بالمؤمنين . . بل إنها محكومة بالإرادة والسعي . . فمن أراد الدنيا العاجلة سعى
 لها . . وحصل على ثمرة سعيه . ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ
 فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ * كَلَّا نُمَدِّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ
 رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿ [١٨-٢٠] . فالعطاء في الدنيا لا يشترط فيه الإيمان بالله . . وإنما
 هي الإرادة الفاعلة . . فقد وعد الله أن يعطي لمن أراد وسعى . . وهكذا
 سنن الله تعم الناس لأنها أسباب تؤدي فتعطي ثمارها .

٢- العطاء من رحمة الله وفضله : (بحسب الأعمال) .

والآيات في ذلك كثيرة . . أحصيت منها قريباً من أربعين . .

البقرة : الآية ٤٧- النساء : الآية ٤٠- المائدة : الآية ٣٥- الأنعام : الآية
 ١٥٥- الأعراف : الآية ٦٣- والآية : ١٥٦- والآية : ٢٠٣- والآية : ٢٠٤-
 التوبة : الآية ٧١- والآية : ٩٩- والآية : ١٢٤- يونس : الآية : ٢٦- والآية :
 ٥٨- والآية : ٨٧- يوسف : الآية : ٥٦- النحل : الآية : ٣٠- والآية : ٩٧-
 الكهف : الآية : ٣٠- والآية : ٨٨- مريم : الآيتان ٤٩ و ٥٠- الأنبياء :
 الآية : ٧٥- النور : الآية : ٣٨- والآية : ٥٦- القصص : ٨٠- يس : الآية :
 ١١- الصافات : الآيات من ١٠٥ إلى ١١٠ والآيات من ١٢٠ إلى ١٢١-
 والآيات من ١٢٩ إلى ١٣١- والآية : ١٣٤- الزمر : الآية : ١٠- الشورى :
 الآية : ٢٣- والآية : ٢٦- الجاثية : الآية : ٢٠- الفتح : الآية : ١٠- النجم :
 الآية : ٣١- الحديد : الآية : ١١- والآية : ١٨- والآية : ٢٨- المزمل :
 الآية : ٢٠ .

.. ونلاحظ في الآيات ارتباط رحمة الله وعطائه من فضله بما يقوم به الإنسان من أعمال.. ولعل أبرز ما يوضح ذلك الآيتان ١٥٦ و ١٥٧ من الأعراف :

« قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » .

- وعندما يتساءل المشركون عن الآيات والمعجزات يحدثنا الله عن نعمة القرآن ورحمته التي لا ينالها إلا من يستمع وينصت له : ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَإُيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٢٠٣ ﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ [الأعراف : ٢٠٣-٢٠٤] . فما هو الإنصات وبأي شيء يختلف عن الاستماع ؟ !

ابتداء الاستماع فيه جهد أكبر من السماع . . وأما الإنصات فإنه حالة من السكون والاستغراق . . اهدأ واسكن وأمسك جوارحك واسبح مع الآيات وهي ترتقي بك إلى الله . .

إن أسرار القرآن لا توهب إلا لمن كان في حالة إنصات وسكون وتأمل وتفكير . . ليحظى برحمة الله .

ومن فضل الله وكرمه أن يعد عباده بالحياة الطيبة في الدارين : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] إن توفر الشرطان : الإيمان والعمل الصالح (أي : الإخلاص والصواب) .. فإما من تشتكون من شقاء الحياة دققوا وافحصوا أنفسكم وأعمالكم .. وتأملوا قول إقبال (على لسان الله كما تخيل) :

عطايانا سحائب مرسلات.. ولكن ما وجدنا السائلينا
تجلّي النور فوق الطور باقٍ.. فهل وُجد الكليم بطور سينا..؟!

٣- إجابة الدعاء وكشف العذاب (النجاة)

وقد سجلت في هذا المجال ثلاثة عشر موضعاً :

الأَنْفَال : الآية : ٣٣- يونس : الآية : ٩٨- والآية : ١٠٣- يوسف :
الآية : ٣٤- الأنبياء : الآية : ٧٦- والآية : ٨٤- والآية : ٨٨- والآية : ٩٠-
النور : الآية ٢٦- النمل : الآية : ٦٢- الصافات : الآيات من ٧٦ إلى ٨١-
فصلت : الآية : ١٨- الشورى : الآية : ٢٦ .

- وقارِء الآيات (٢٥ و ٢٦) من سورة الشورى يعجب من بلاغة القرآن
وروعة التعبير فيه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا
نَفَعَلُوا ﴾ * وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ فهاهم عباد الله
قد عادوا إلى ربهم تائبين .. والله يلقاهم بالقبول والعفو .. « ويستجيب الذين
آمنوا » ؟! « ويزيدهم من فضله » فمن الذين يستجيب ؟! كأن الله يضم عباده
إليه في هذا السياق .. فهم يستجيبون لربهم .. وربهم يستجيب لهم ويزيدهم
من فضله .. فما أعظم هذا الإكرام .. وما أرقى هذه الحفاوة الربانية .. !!

٤- إعطاء العلم والحكمة والتذكر والرشاد

وقد سجلت من الآيات في هذا المجال ستة مواضع :

البقرة : الآية : ١٨٦- والآية : ١٨٩- والآية : ٢٦٩- آل عمران : الآية :
٧- يوسف : ٢٢ القصص : الآية : ١٤ .

- ففي سؤال الصحابة عن الأهلة .. ما بال القمر يكون هلالاً ثم يكتمل بدرأً
ثم يعود هلالاً ..

يأتي الجواب الإلهي معلماً للناس عن الحكمة من ذلك . . ويستنكر عادة الجاهليين في الدخول إلى البيوت من ظهورها إن عادوا من الحج . . وينقل الموضوع من أمر خاص إلى قاعدة عامة مليئة بالحكمة وتقتضي من المؤمن أن يستنفر ذكائه بالدخول الفني لعلاج المشاكل . . ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْآهِلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٩] - إن الاجتهاد في تحصيل المعرفة والحكمة والانتباه إلى سنن الله حتى لا تصطدم بها - وهو معنى التقوى - يحميك من خيبة من يدخل البيت من خلفه . . من جهل الذين يقتحمون المشاكل دون أن يبحثوا عن مفاتيحها . . وما أعظم فلاح من كشف قوانين الله وقام بالأسباب المناسبة . . ذاك هو الفلاح .

ولنتأمل : هل كان الصحابة سيستفيدون لو أعطاهم الله جواباً فلكياً عن حركة القمر وشكله . . ؟!

فما أعظم الجواب الذي قدمه الله لهم . . لأنه مرتبط بحياتهم وعبادتهم .
وأما الفلك فسيدرسه الناس فيما بعد .

٥- إعطاء من الرزق والقوة :

وقد أحصيت لها ستة مواضع . . فهي لا تقل أهمية عن العلم والحكمة والرشاد .

المائدة : الآية : ٦٦ - الأنفال : الآية : ٧٠ - هود : الآية : ٣ - والاية : ٥٢ - طه : الآية : ١٣٢ نوح : الآيات من ١٠ إلى ١٢ .

- إن الله أنزل الدين على الناس لجعل حياتهم تسير على أحسن وجه . . وإن الله الذي خلق الإنسان يعلم حاجاته ورغباته فلم يجعل الدين مثالياً يتجاهل رغباته الدنيوية التي لا تدمره ولا عدوان فيها على كيان الآخرين . . ولهذا يأتي

خطاب الله لأهل الكتاب : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٦٦] .

ويخاطب المسلمين أيضاً : ﴿ وَيَقَوْمٍ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ﴾ [هود : ٥٢] .

- واحذر أيها المؤمن من أن يشغلك طلب الرزق عن عبادتك وتوجيه أهلك
﴿ وَأُمِرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه : ١٣٢] وهذا لا يعني ترك السعي في طلب الحلال فالله يرزق وفق سننه التي وضعها للحصول على الرزق . . وسيأتي شرح ذلك في سنن استخلاف الإنسان . .

٦- الزيادة في النعم بالشكر وبالطهارة :

وذلك في أربع مواضع مما أحصيت :

المائدة : الآية : ٦ - إبراهيم : الآية : ٧ - الزمر : الآية : ٧ - القمر :
الآيتان : ٣٤ و ٣٥ .

فالقرآن يعقب على الأمر بالوضوء والاعتسال والتميم ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦] فالطهارة والنظافة هي من إتمام النعمة على المؤمنين . فمن شكر فإنما يشكر لنفسه . . لأن الشكر يفرغ السكينة على القلب ويملؤه بالرضى وهذا أول النعمة وتأتي بعدها الزيادة : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

فهو إعلان واضح وبلاغ من الله لعباده عن السنة في زيادة النعم . . والشكر لا يكون باللسان فقط . . ولكن ﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سبا : ١٣] . . قليل من عباد الله من يشكر الشكر الحقيقي للنعم . . الشكر بتفعيل

النعمة وتسخيرها لخدمة الناس . . لا بد من تسخير النعم في إحسان أداء دور الخلافة في الأرض وعندها يحصل النمو والزيادة وتزدهر الحياة الإنسانية على الأرض .

٢- سنن النصر : (للصابرين والمبادرين)

وقد رأيتها في عشرين موضعاً من القرآن :

البقرة : الآية : ٢٤٩- آل عمران : الآية : ١٣- المائدة : الآية : ٢٣-
والآية : ٥٦- الأنعام : الآية : ٣٤- الأنفال : الآية : ٤٥- يوسف : الآية :
١١٠- الحج : الآية : ٤٠- والآية : ٦٠- القصص : الآية : ٣٥- الروم :
الآيات من ٤ إلى ٦- يس : الآيتان ٧٤ و٧٥- الصافات : الآيات من ١٧١ إلى
١٧٣- غافر : الآية : ٥١- محمد : الآية : ٧- المجادلة : الآية : ٢١- والآية :
٢٢- الصف : الآيتان : ١٣ و ١٤ .

- فالنصر يأتي للمؤمنين الصابرين : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] وانتصر المؤمنون على جالوت المدجج بالسلاح رغم قلتهم .

- والأهداف النبيلة تلعب دوراً هاماً في الغلبة والنصر : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ تَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً . . ﴾ [آل عمران : ١٣] .

- والمبادرون لا يتلكأون ولا يترددون ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] وكثيراً ما يكون الإقدام ومباغته العدو من حيث لا يتوقع - ﴿ ادخلوا عليهم الباب ﴾ هجوم مباشر على جهة ظنها العدو آمنة - هجوم سريع مباغت . . يحقق نصراً على نفوس مسترخية .

- وليس النصر المقصود نصراً في معركة وبالسلاح فقط.. بل هو نصر الثبات والبقاء لأفضل الطرفين.. ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ . . ﴾ [الأنعام : ٣٤] وكما قال الله تعالى لموسى : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيٰتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴾ [القصر : ٣٥] إن اتباع آيات الله هو السبيل إلى البقاء والنصر على الآخرين .

- وقد تختلط الأمور على الناس فينضمون إلى الأقوى ولو كان ظالماً رغبة في الانتصار وحماية الذات.. لكن الأمور تأتي على عكس ما يتوهمون.. ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَّعَلَّهُم يُنصَرُونَ ﴾ * لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُم جُنْدٌ مُّخَضَّرُونَ ﴾ [يس : ٧٤-٧٥].. وكم من الناس تاهوا وراء الطغاة وجندوا أنفسهم في صفهم ظناً منهم أن الطغاة ينصرونهم.. لكن الحقيقة تأتي على عكس ما تصوروا.. فإن الطغاة ما انتصروا إلا بهؤلاء الجنود المشركين والمستضعفين.. فمن الذي ينصر الآخر..؟! وسيأتي اليوم الذي ينتهي فيه دور هؤلاء العملاء المغفلين فيصبحون عبئاً على الطغاة.. وسرعان ما ينبذونهم ويتخلصون منهم.. ألم تر ما فعلوا بصدام حسين..؟! وأمثاله كثيرون.. فاعتبروا يا أولي الأبصار .

٣- الفلاح بطاعة الله ورسوله والتزام صفات المؤمنين :

وقد سجلت في هذا المجال أكثر من عشرين موضعاً في القرآن :

- البقرة : الآيات من ٢ إلى ٥- آل عمران : الآية : ١٠٤- والآية : ١١٤-
الأعراف : ٦٩- المائدة : الآية : ٩٠- والآية : ١٠٠- الأعراف : الآية :
١٥٧- النحل : الآية : ١١٦- الحج : الآية : ٧٧- المؤمنون : الآيات من ١
إلى ٩- الأنفال : ٤٥- النور : الآية : ٥١- والآية : ٥٢- الروم : الآية : ٣٨-

لقمان : الآيتان : ٤ و ٥- الأحزاب : الآية : ٧١- فاطر : الآيتان : ٢٩ و ٣٠-
الفتح : الآية : ١٦- والآية : ٢٩- الحديد : الآية : ٧- الجمعة : ١٠-
الانشقاق : الآية : ٢٥- العصر :

- إن الله ورسوله لا يأمران إلا بما فيه الخير للإنسان والأمة - وإنما حرّما
الخبيث :

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى
الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٠] وإن أولي الأبواب هم الذين يدركون
أضرار الخبيث وبركات الطيب . . فلا تغرهم كثرة الخبيث وطغيانه ويعلمون أنه
يجر أصحابه إلى الهاوية . . مما يرسخ التقوى في قلوبهم وأعمالهم . . إن
سنن الله تبدو كالمعادلات الرياضية . . فالآية هنا تعطينا معادلة : [أولوا
الأبواب + تقوى يعطي فلاح] . إنها قواعد الحياة الإنسانية .

- وأحياناً تعرف الأمور بعرض أضرارها . . كما نرى في الآية ١١٦ من
سورة النحل : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ
لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ إنها صورة
للخاسرين الذين لا يفلحون لأنهم استبدلوا طاعة الله بالافتراء عليه والاعتداء
على حاكميته . .

- وتفتح سورة (المؤمنون) برسم صورة وضيئة نابضة بالخير والالتزام . .
لنماذج من المفلحين :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ
مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا
عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يَحَافِظُونَ ﴾ .

- وانظر إلى الصورة القوية المليئة بالتمكين التي ترسمها الآية ٢٩ من سورة الفتح للنبي وأتباعه :

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرُ السُّجُودِ ذَلِكَ مِثْلُهُمْ فِي التَّورَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ يشبههم بزرع أنبت فروعه ونما حتى تمكن ورسخت جذوره في الأرض ووقف شامخاً بسوقه فوق الأرض.. فهو مصدر سعادة وإعجاب للذين تعبوا في زرعه ورعايته.. بينما يتميز الكفار غيظاً برؤيتهم.. ولك أن تعجب وأنت تتأمل صورة هؤلاء الأشداء الرحماء.. الركع السجود.. حتى أن وجوههم تنطق بوضاءة السجود.. إنهم دعاة إلى الخير ذاكرين لآلاء الله ونعمه.. ثابتين في وجه الشدائد ذاكرين الله كثيراً.. وكلها أسباب للفلاح في الدنيا قبل الآخرة.

٤- الفلاح ثمرة الصبر والمصابرة

وقد لاحظت في هذا المجال سبعة مواضع من القرآن .

آل عمران : الآية : ١٢٠ - والآية : ٢٠٠ - هود : الآية : ٤٩ - يوسف : الآية : ٩٠ - النحل : الآية : ٤١ - القصص : الآيتان ٥٣ و ٥٤ - فصلت : الآية : ٣٥ .

- وأبرز مثال يظهر في ختام سورة آل عمران : (الآية : ٢٠٠) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ..

إنها معادلة محكمة للفلاح في الدنيا : [صبر + مصابرة + مرابطة + تقوى يعطي الفلاح]

الصبر : إمساك النفس وإلزامها بالخير.. وليس هو الذل الذي يظنه

المسلمون الآن بسكوتهم على الأخطاء والمظالم . . بل هو الصبر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرفق والحب وضمن أدب الإيمان .

والمصابرة : هي مواجهة صمود الآخر بصمود أقوى . . فلا يغلبك بتمسكه بما هو عليه . . بل تغلبه بصبرك .

والمrabطة هي الثبات في حراسة حدود الإسلام وثغور المسلمين . .
المrabطة أن تسهر وتبذل جهدك في بيان آيات الله وتحرسها ممن يحاولون تشويهها والتلاعب بمعانيها . . المrabطة استنفار وثبات وإحساس بالمسؤولية وبذل الجهد في رعاية ما استأمنك الله عليه . . إنها عكس الرحيل والفرار أمام المشاكل والأزمات . . المrabطة أمر عظيم غفل عنه المسلمون في هذا الزمان . . فواحسرتاه .

وأما التقوى : فهي خشية في القلب تدفعك إلى دراسة سنن الله ومعرفة أسباب الفلاح والقيام بها . . فكيف لا تؤتي هذه الصفات أكلها . . ؟! ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْقِيبِ ﴾ [هود : ٤٩] .

٥- الفلاح لمن زكى نفسه بالتوبة والإنفاق : وذلك في ثمانية مواضع :

آل عمران : الآية : ٩٢- التوبة : الآية : ٣- والآية : ٧٤- النور : الآية : ٣١- القصص : الآية : ٦٧- الحشر : الآية : ٩- التغابن : الآية : ١٦- الشمس : الآيتان ٩ و ١٠ .

- الإنفاق مما تحب أمر يحتاج إلى جهاد للنفس وتطهير لها من الأنانية والأثرة : ﴿ لَنْ نَأْثَرُوا الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٩٢] فمن ارتقى إلى ذلك استحق الفلاح ونال البر .

- وأما التوبة فهي رحلة تصاعدية في حياة المؤمن تحتاج إلى ضمير حي ويقظة مستمرة . . وهي التدريب المستمر على الارتقاء ولهذا أفردنا الله في

إحدى السور الطوال لخطورة آثارها وفضل الممارسين لها . .
يا معشر المسلمين إن التوبة هي التصحيح المستمر والسعي لأخذ ما استجد
من علم وخير وترك ما فات أوانه . . وليست هي تردد كلمات التوبة مئات
المرات بلا وعي ولا تدبر . .

* * *

باب محبة الله ومعيته

وفيه أربعة عناوين : ١- الحصول على محبة الله . ٢- الحصول على معية الله . ٣- الحماية من كيد الأعداء . ٤- الحماية من الغفلة والنسيان :

١- الحصول على محبة الله :

وذلك من خلال استعراض الآيات التي تتحدث عن حبهم الله ومن لا يحبهم . . وذلك في أربعة وثلاثين موضعاً :

البقرة : الآية : ١٩٥- والآية : ٢٧٦- آل عمران : الآية : ٣١ و ٣٢-
والآية : ٧٦- والآية : ١٣٤- والآية : ١٤٠- والآية : ١٤٦- والآية : ١٤٨-
والآية : ١٥٩- النساء : الآية : ٣٦- والآية : ١٠٧- المائدة : الآية : ١٣-
والآية : ٤٢- والآية : ٨٧- والآية : ٩٣- الأنعام : الآية : ١٤١- الأعراف :
الآية : ٣١- والآية : ٥٥- الأنفال : الآية : ٥٨- التوبة : الآية : ٤- والآية :
٧- والآية : ١٠٨- النحل : الآية : ٢٣- مريم : الآية : ٩٦- الحج : الآية :
٣٨- القصص : الآية : ٧٦- والآية : ٧٧- الروم : الآية : ٤٥- لقمان : الآية :
١٨- الشورى : الآية : ٤٠- الحجرات : الآية : ٩- الحديد : الآية : ٢٣-
الممتحنة : الآية : ٨- الصف : الآية : ٤ .

من أروع الأساليب في الخطاب القرآني أن يضرب على وتر المحبة فهو يرغب بالأعمال الصالحة لأنها طريق إلى محبة الله وينفر من السيئات لأنها حرمان من حب الله ورعايته . . وهل هناك ما هو أعظم على قلب المؤمن من أن يحظى بحب الله . . ؟! إنه مستعد لبذل جهده كي يتحلى بالعطاء والإحسان في

علاقاته مع الناس لأن الله يحب المحسنين . . وسيحرص على الوفاء بالعهد والتقوى لأن : ﴿ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ٧٦] . . وتأمل هذه الصفات كم تحتاج إلى مجاهدة وكبح للمشاعر والرغبات :

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

لكن حلاوة حب الله في القلب تغلب كل مشقة . . بل تصبح المشقة مصدر سعادة لأنها طريق السمو والارتقاء وطريق الوصول إلى الله . . وسيصبح الصبر المر جميلاً لأن ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

- ولنتأمل الآية : ١٥٩ من آل عمران : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ كُنْتَ فُتًى غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعُفْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

شدوا العزيمة يا عباد الله . . وتعلموا من رسول الله كيف جمع بين أرقى رحمة وليونة . . مع احترام لآراء أصحابه . . مع العزم والحزم وحسن التوكل على الله .

٢- الحصول على معية الله :

وقد أحصيت في هذا المجال آيات في أربعة عشر موضعاً :

البقرة : الآية : ١٥٣ - والآية : ١٩٤ - والآية : ٢٤٩ - المائدة : الآية : ١٢ - الأنفال : الآية : ١٩ - والآية : ٤٦ - التوبة : الآية : ٣٦ - والآية : ١٢٣ - النحل : الآية : ١٢٨ - طه : الآية : ٤٦ - العنكبوت : الآية : ٦٩ - الجاثية : الآية : ١٩ - محمد : الآية : ٣٥ - الشعراء : ٦٢ .

- هل تذوقت مرة هذا الإحساس : أن تشعر بأن الله معك ويتكفل بأمورك . . ؟! انظر إلى إحساس موسى وبقينه عندما أدركه فرعون وجنوده

﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿ [الشعراء : ٦١-٦٢] .

لن تحس بمعية الله حتى تكون من الصابرين أو المتقين أو المحسنين . . فإن أكثر الآيات تثبت معية الله لمن اتصف بهذه الصفات . . تأمل الآية : ١٢ من سورة المائدة واجتهد في تحقيق هذه الصفات :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمْ أَوْهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ . . . ﴾ .

ولقد قدم الله الجائزة قبل أن يذكر المطلوب من الأعمال ﴿إني معكم﴾ ومن كان الله معه فأى شيء يخشاه . . ؟! إنه يحيى على الأرض وقد حفت به السكينة وملأته الطمأنينة . . ولكن لا بد من الإيمان بالرسول وتعظيمهم ونصرتهم والالتزام بأوامرهم . .

٣- الحماية من كيد الأعداء والشیطان : (ورعاية أبناء الصالحين)

وقد لاحظت ذلك في خمسة وعشرين موضعاً من القرآن :

النساء : الآية : ٢٧ - والآية : ١٠١ - يوسف : الآية : ٢٤ - إبراهيم : الآية : ٢٧ - الحجر : الآية : ٤٢ - والآيتان : ٩٤ و ٩٥ - النحل : الآية : ٩٩ - الإسراء : الآية : ٦٥ - والآيتان : ٧٦ و ٧٧ - الكهف : الآية : ٨٢ - الحج : الآية : ٣٨ - الشعراء : الآية : ٦٥ - والآية : ١٧٠ - النمل : الآية : ٥٣ - والآية : ٥٧ - العنكبوت : الآية : ١٥ - الأحزاب : الآية : ٢٥ - غافر : الآية : ٤٥ - الفتح : الآية : ٢٠ - المجادلة : الآية : ٢٢ - الطلاق : الآية : ٣ - الفلق : الآيتان ٣ و ٤ - الناس : الآية : ٤ .

- وإن أشد ما يمكن أن يتعرض المؤمن له من أذى هو كيد الشيطان

وإغواؤه . . فإذا بيد الله الحانية تتعهد بحمايته : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر : ٤٢] . . كن من عباد الله ولا تخش شيئاً طالماً أنك يقظ العقل منتبه إلى سنن الله تقوم بالأسباب محتسباً رضى الله .

بل إن الله قد تكفل برعاية أولادك من بعدك وحفظ مصالحهم . . ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي . . . ﴾ [الكهف : ٨٢] .

٤- الحماية من الغفلة والنسيان : (التذكر) . وذلك في تسعة مواضع :

البقرة : الآية : ٦٣- آل عمران : الآية : ١٠٣- الأعراف : الآية : ٦٩- المزمّل : الآية : ١٩- المدثر : الآيتان ٥٤ و ٥٥- الإنسان : الآية : ٢٩- عبس : الآيتان : ٣ و ٤- والآيتان : ١١ و ١٢- التكوير : ٢٨ .

- إن الاهتمام وأخذ الكتاب بقوة . . بتقدير ورغبة في التنفيذ لنيل بركات الكتاب يمنحك التذكر ويبعدك عن الغفلة ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٦٣] .

- وتأمل الآية ٦٩ من الأعراف : ﴿ أَوْ عَجِبْتَ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

إن الله يسمي ما أنزل على الأنبياء : ﴿ ذكر من ربكم ﴾ وقد أنزله حماية لكم من الغفلة والانزلاق إلى طريق الضلال . . والله يريد لكم أن تتفعوا برسالاته لتكونوا من المفلحين . .

وهكذا تنبه الآيات السابقة من المزمّل إلى التكوير . . على أن القرآن تذكره لمن شاء أن يتذكر ويستفيد . . فالإنسان هو الذي يختار مصيره . .

الفصل الثاني

سنن استخلاف الإنسان

الباب الأول: سنن تتعلق بطبائع الإنسان

١- سنن مساعدة :

تساعد الإنسان على القيام بدوره في الخلافة.. ونرى ذلك في خمسة مجالات :

١- الإنسان فطر على الإيمان :

الأعراف : الآية : ١٧٢- الروم : الآية : ٣٠- التين : الآية : ٤ .

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أي : لديه الاستعداد للارتقاء وإصلاح الحياة والأرض .

هكذا خلق على الخير والإيمان : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

٢- سخر له ما في السموات والأرض والليل والنهار :

البقرة : الآية : ٢٢- الحج : الآية : ٦٥- إبراهيم : الآيتان : ٣٢ و ٣٣-

النحل : الآية : ١٢- الفرقان : الآية : ٤٧- النبأ : الآيتان : ١٠ و ١١ .

هذا التسخير من الله لمساعدة الإنسان على عمار الأرض وبناء الحضارات وتحصيل الأرزاق .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم : ٣٢-٣٣] . . فالكون كله مبرمج ليعين الإنسان على أداء دوره : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [النبا : ١٠-١١] .

٣- يحب الكفاح والكبد وأعطي ما يعينه على ذلك :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا * أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ * فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ [البلد : ٤-١١] .

٤- خلق على درجات (تنوع المواهب) : [الزخرف : ٣٢] .

﴿ نَحْنُ قَسَمًا بِلَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَيْكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ تنوع المواهب يضمن حياة متكاملة . . بحيث يؤدي كل فرد ما يتقنه . .

٥- ضمان الحاجات الأساسية للإنسان : ونرى ذلك بشكل جلي في

ما تعرضه سورة النحل من نعم الله . . وفي سورة قريش : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ .

٢- سنن حيادية :

لغة الجسد : سيمياء الوجه والحركات والهيئة . . تكشف عما في النفس

من إيمان أو نفاق وقد لاحظت ذلك في خمسة مواضع من القرآن :

البقرة : الآية : ٢٧٣- التوبة : الآية : ٩٢- والآية : ١٢٧- الفتح : الآية :

٢٩- المنافقون : ٤ .

- فانظر إلى الفقراء المتعطفين الذين يسترون حاجتهم كما يستر الإنسان

عورته.. لكن سيماهم تنطق وتكشف لليبب عوزهم ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٧٣] .

- وانظر إلى المنافقين كيف تفضحهم حركاتهم : ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة : ١٢٧] .

- وأحياناً يخدع المرء بحسن مظهرهم وحديثهم.. لكن الأحداث سرعان ما تكشف ارتجافهم وهشاشة جوهرهم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَوَلَّوهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون : ٤] .

وتأمل صورة أصحاب النبي - على النقيض من السابقين - في رسوخهم في التقوى والاستقامة ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح : ٢٩] .

٣- سنن سلبية :

وهي كثيرة وتحتاج من الإنسان إلى مجاهدة لأنها ثغرات يدخل منها الشيطان لفتنة الإنسان وقد لاحظت منها عشرة عناوين :

١- الإنسان عجول : وذلك في ثلاثة مواضع :

الإسراء : الآية : ١١- الأنبياء : الآية : ٣٧- الفجر : الآيتان : ١٥ و ١٦ حيث تكشف الآيات عن اغترار الإنسان بالتناجح السريعة ويظن أنها غاية المطاف : ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَّهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ .

٢- ويحب الجدل : [الكهف : ٥٤] : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ

كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿ وَيَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنْ كَانَ يَعْلَمُ فِي
قَرَارَةِ نَفْسِهِ أَنَّهُ مَخْطِئٌ ﴾ [القيامة : ١٤-١٥] .

٣- يحب المال وينغمس فيه ويبخل عن بذله :

الإسراء : الآية : ١٠٠- العاديات : الآية : ٨- التكاثر : الآية : ١
﴿ أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ .

٤- وهو ظلوم جهول : الأحزاب : الآية : ٧٢ وذلك بأنه لا يقدر ثقل
الأمانة التي حملها حين كلف بالخلافة ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .
٥- نفسه أمارة بالسوء وقد يضعف أمامها :

النساء : الآية : ٢٨- يوسف : الآية : ٥٣- ويتأثر بالحسد : الفلق :
الآية : ٥ .

٦- ضعفه يقوي المستكبر (حالة الاستضعاف التي تدعم المستكبر وتمكنه
من ممارسة الظلم) .

الزخرف : الآية : ٥٤- الجن : الآية : ٦- المطففين : الآية : ٢٩ .

انظر إلى فرعون كيف يتناول ويدعي أنه مالك الملك لأنه يعرف خنوع
الناس . . أموات غير أحياء . . ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾
[الزخرف : ٥٤] .

٧- فيه جحود مع ربه فالأكثرية كافرة : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ .

يوسف : الآية : ١٠٣- والآية : ١٠٦- النمل : الآية : ١٤- العاديات :
الآية : ٦- لقمان : الآية : ٣٢ .

٨- وهو يؤوس قنوط : فصلت : الآيتان : ٤٩ و ٥٠- الزمر : الآية : ٨-
الشورى : الآيتان ٤٨ و ٤٩ .

٩- يطغى ويغفل عند النعمة ويتضرع عند الشدة . . وهو فرح فخور :

يونس : الآية : ١٢- والآيتان : ٢٢ و ٢٣- هود : الآية : ٩- الروم :
 الآية : ٣٣- فصلت : ٥١ العلق : الآية : ٦- وهو فرح فخور : هود : الآية :
 ١٠- الإسراء : الآية : ٨٢- ص : ٢- المعارج : الآية : ٢١- التين : الآية :
 ٥- ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ * أَن رَّاهُ اسْتَفْتَى﴾ [العلق : ٦-٧] .

١٠- يعادي الجديد (الآبائية) : الشعراء : الآية : ٧٤- الزخرف : الآية :
 ٢٣ .

وهي صفة تعطل كل تقدم وتبقى الأمم في حالة ركود وجمود وتفقد الحياة
 الإنسانية جوهرها المبني على الارتقاء والتطور . وفي الحقيقة إن موضوع
 الإلف يحتاج إلى تحليل وتحديد . إذ أن الابتكار الجديد يُحارب من الناس
 فترة . ثم ينتشر ويسود ويصبح إلفاً يؤدي دوراً إيجابياً في تحقيق المنفعة
 للأمة . إلى أن يأتي ما هو أفضل من هذا الإلف . ويُحارب من جديد . لكنه
 سينتصر إن كان هو الأنفع ولو بعد حين .

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ
 وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف : ٢٣] .

٤- سنن إيجابية :

وهي منطلقات ممتازة زود بها الإنسان كركائز للإقلاع نحو بناء الإنسان
 الخليفة في الأرض .

وقد لاحظت منها :

١- خلق الإنسان في أحسن تقويم كما تقرر الآية الرابعة من سورة التين . .
 وكما ورد في سورة الانفطار : ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ
 فَسَوَّكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار : ٦-٧] .

٢- وأعطي امتياز العلم والقدرة على التعلم : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ . [البقرة : ٣١] .

٣- يعرف خطأ نفسه فيتوب ويستغفر : كما نرى في كل السور التي تعرض قصة آدم ومنها الأعراف ٢٣ .

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

وقد يكابر الإنسان فيدافع عن نفسه ويجد لها الأعذار . . لكنه في قرارة نفسه يعرف خطأه . .

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ ﴾ [القيامة : ١٤-١٥] .

فلئن كانت نفسه أمانة بالسوء في بعض الأحيان . . فإنها تلومه في أحيان أخرى على الخطأ والغفلة فهي :

٤- النفس اللوامة التي أقسم الله بها تشريفاً وتكريماً لها : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ * وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ إنها جهاز نفسي دقيق يستعصي على تمرير الخطأ . . وهي المؤثر الداخلي الذي لا يرحم في الإدانة . .

٥- يحتاج إلى الأسوة الحسنة وينتفع بها . . ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وكما قال في الآية الرابعة من سورة الممتحنة : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كُفْرًا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا . . ﴾ .

٦- يتعلم ويعالج بالصفح والسلام : ﴿ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٩] .

٧- أعطي حرية الاختيار كما تنص سورة الشمس : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ .

٨ - بل أعطي القدرة على التطهر والتوق إلى الارتقاء كما قال يوسف في مواجهة الإغواء . . ﴿ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ . . ﴾ ولا يزال الارتقاء ماض مع المؤمن حتى يبلغ مرتبة ﴿ النفس المطمئنة ﴾ ﴿ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿ فَأَدْخِلْنِي فِي عَبْدِي ﴾ ﴿ وَأَدْخِلْنِي جَنَّاتِ ﴾ [الفجر : ٢٧ - ٣٠] .

وبعد تأمل الآيات التي تتحدث عن طبائع الإنسان . نلاحظ بوضوح أن السنن السلبية هي أقل من باقي السنن : الإيجابية والمساعدة وحتى الحيادية فإنها تساهم في دعم الإنسان الخليفة وتسهيل أدائه لدوره . . وذلك من رحمة الله وحبه لهذا الإنسان وعونه وتكريمه .

كذلك نلاحظ أن الإنسان قد أعطي الخيار والاختدار على تطوير السيء منها حتى يكف تأثيره . . وتنمية الجوانب الجيدة حتى يعود الإنسان إلى أحسن تقويم . . ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ هكذا خلق الله النفس البشرية باستعدادات متنوعة . . لكن الإنسان هو الذي يحدد مساره ويختار هويته وطريقه - (سورة الشمس) . ولئن كان الإنسان يرغب في الاسترخاء والاستسلام للشهوات . . فإنه يحب التميز والارتقاء وأن يكون له دور ريادي بين سائر المخلوقات . . ولهذا نجد الله يصور لنا حسرة الذين كفروا أن حرموا من هذا الامتياز ﴿ رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر : ٢] .

* * *

الباب الثاني : سنن الاستخلاف

والآيات المتعلقة بهذا الموضوع تدور مع الإنسان في مجالات عديدة لإعداده لهذا الدور الجليل الذي خلق من أجله . . وقد رأيت بعد تأمل أن أتناول الموضوع وفق الترتيب التالي :

- ١- رسالة الإنسان الخلافة في الأرض .
 - ٢- مركزية التوحيد وترتيب الأولويات .
 - ٣- مسؤولية الإنسان عن نفسه (أنت تملك مصيرك) .
 - ٤- خطورة نقص العلم وأهمية الدعوة والتبليغ .
 - ٥- سنن الإنجاز وأخلاقه .
 - ٦- سنن تدوير الأعمال (المعطي هو الرابع والماكر يمكر بنفسه) .
- وسأتبع الآيات بحسب هذه العناوين :

١- رسالة الإنسان الخلافة في الأرض .

وهي القصة التي تعرض في كثير من سور القرآن . . قصة خلق آدم ليكون خليفة في الأرض . خلق لهذا الدور وأعطى كل المؤهلات اللازمة وهيئت له كل الظروف للنجاح في هذه المهمة بشرط أن ينتبه لها ويدرك أنها مصدر كرامته وتكريمه على سائر مخلوقات الله . . والآيات التالية تشير إلى ذلك :

البقرة : الآية : ٣٠- يونس : الآية : ١٤- يوسف : الآية : ٥٦-
الأحزاب : الآية : ٧٢- فاطر : الآية : ٣٩- ص : الآية : ٢٦- عبس : الآية :

- فهي الأمانة التي تعجز السماوات والأرض والجبال عن حملها . . لكن الإنسان حملها لأنه يملك المؤهلات اللازمة لأدائها : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] . . ظلم نفسه حين بخسها حقها وجهل الغاية من خلقه . . ففضى على نفسه باللغو والعبث واللامبالاة . . ولهذا حذره الله ووجه إليه اللوم على إهماله وتقصيره . . ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُوْهُ ﴾ [عبس : ٢٣] .

وأول ما ينبغي للإنسان الخليفة أن ينتبه له هو :

٢- مركزية التوحيد وترتيب الأولويات :

الله أهم من كل ما عداه في نفسه . . الله أولاً وقبل كل أقربائه . . وقبل دنياه وتجارته وأملأكه . .

التوبة : الآية : ٢٤ . . وذلك أن الأموال والأولاد لن تغني عنك شيئاً وليست السبب الأول في نجاحك في الدنيا قبل الآخرة : آل عمران : الآيات من ١٠ إلى ١٣ .

وذلك بأن الكون والحياة وكل الخلق قائمين بأمر الله وعلى سننه . . فكيف ينجح من نأى عن ربه . . !؟

الحج : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ . . ﴾ [٣٠] .

﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ . . وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [٣١] إن من لا يعظم سنن الله وقوانينه ولا يلتزم بها . . لا بد أن يسقط مع أوهامه . . وتخطفه شياطين الإنس والجن . . أو تهوى به رياح الهوى والشهوات إلى أسفل سافلين . .

- وحين تكون الأولوية في نفسك لغير الله . . للمال أو الأولاد فإنك لا بد خاسر . . ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [نوح : ٢١]

ألم تر ما حل بأبي لهب ؟ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد] .

- ألم تعلم أن سنن الله تعصمك وتهديك إلى أفضل طريق ﴿ وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٠١] وأن القرآن يوصلك إلى الحياة الطيبة في الدنيا قبل الآخرة :

النحل : الآية : ٩٧ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

أليس هذا أفضل من اتباع الهوى ؟ ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

وكثيراً ما يحاول الإنسان التملص والدفاع عن نفسه بأن ظروفه منعه ودفعته . . وأن الناس غرروا به . . والرؤساء والحكام . . والشيطان . . والحظ . . وقد ر الله حتى . . فيأتي الرد :

٣- مسؤولية الإنسان عن نفسه : (أنت تملك مصيرك)

وقد أحصيت في هذا المجال قريباً من خمسين آية :

آل عمران : الآية : ٦٩ - النساء : الآية : ٧٩ - والآية : ١١ - والآية : ١١٣ - المائدة : الآية : ١٠٥ - الأنعام : الآية : ٢٦ - والآية : ١٠٤ - والآية : ١٢٣ - والآية : ١٦٤ - يونس : الآية : ١٠٨ - هود : الآية : ١٠١ - إبراهيم : الآية : ٢٢ - النحل : ٣٣ - والآيتان : ٩٩ و ١٠٠ - الإسراء : الآية : ٧ - والآية : ١٥ - والآية : ٦٥ - الحج : الآية : ١٠ - النمل : الآية : ٤٠ - والآية : ٩٢ - العنكبوت : الآية : ٦ - الروم : الآية : ٣٦ - والآية : ٤٤ - لقمان : الآية : ١٢ - سبأ : الآية : ٥٠ - فاطر : الآية : ١٨ - والآية : ٣٢ - يس : الآية : ١٩ - ص :

الآيتان : ٨٢ و ٨٣ - الزمر : الآية : ٤١ - فصلت : الآية : ٤٦ - الشورى :
 الآية : ٣٠ - والآية : ٣٤ - والآية : ٤٨ - الجاثية : الآية : ١٥ - محمد : الآية :
 ٣٨ - الفتح : الآية : ١٠ - المزمل : الآية : ١٩ - المدثر : الآية : ٣٧ - والآية :
 ٣٨ - والآية : ٥٥ - القيامة : الآية : ١٤ - الإنسان : الآية : ٢٩ - عبس : الآية :
 ١٢ - التكوير : الآية : ٢٨ - الغاشية : الآية : ٢١ - الشمس : الآيتان : ٩ و ١٠ -
 التين : الآية : ٦ .

- إنك إن اخترت الهداية ومشيت في طريقها فلا سلطان للأشرار عليك
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة : ١٠٥] .

- وتأمل في سورة هود كيف يعلق على هلاك الأمم السابقة وكيف يقرر
 قاعدة هامة في تقرير المصير : ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ
 ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْلِي *
 وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [١٠١-١٠٢] .

إن قدر الله يجري وفق اختياركم . . بل إن الشيطان نفسه يتبرأ ممن تبعه :
 ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا
 كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا
 أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ . . .﴾
 [إبراهيم : ٢٢] .

- ومن رحمة الله بالناس أن جعل عواقب أعمالهم تظهر في الدنيا لعلمهم
 يكتشفون أخطاءهم ويرجعون عنها :

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا
 لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم : ٤١] .

وسنن المسؤولية هذه تشمل الفرد والجماعة علماً بأن الجماعة تملك

مصيرها في الدنيا أكثر من الفرد فقد سبق أن ذكرنا أن النتائج في الدنيا جماعية وسنعود للتأكيد على ذلك في الفصل الرابع عند (نتائج الدنيا) .

٤- خطورة نقص العلم وأهمية الدعوة والتبليغ :

١- خطورة نقص العلم : ونرى ذلك فيما يلي :

التوبة : الآية : ٩٧- الكهف : الآيتان : ١٠٣ و ١٠٤- فاطر : الآية : ٢٨- فصلت : الآية : ٢٣- النجم : الآية : ٢٨ ، الحشر : الآيتان : ١٣ و ١٤- الجمعة : الآية : ٢ .

- إن معرفة الله وخشيته لا ينالها بأجلى صورها إلا العلماء : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُمْ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] . وكلما ابتعد الإنسان عن العلم والعقل وغرق في غياهب الجهل . . . ابتعد عن دين الله ومعرفته . . . ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩٧] . وإن سبب إعراض الأكثرية عن الحق هو عدم العلم به كما يقرر الله : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٤] . والعلم هو الذي امتاز به آدم واستحق به أن تسجد له الملائكة حين علمه الأسماء . . . فقد أعطاه القدرة على ابتكار اللغة وإطلاق الأسماء بينما عجزت الملائكة فأمرت بالسجود لآدم تكريماً وإقراراً بالفضل . وإن فقدان العلم يغرقك بالظنون حتى تكاد ترديك : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [فصلت : ٢٣] . .

كذلك نرى بعض الناس يغتر بما عنده من العلم القليل فيتوقف عن التقدم وقبول المزيد وهم من قال عنهم الله : ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ [غافر : ٨٣] وقال عنهم أيضاً : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم : ٧] .

- ولهذا تكون الحماية للفرد والأمة بـ :

٢- الدعوة والتبليغ : ونجد ذلك في الآيات التالية :

المائدة : الآية : ٦٧- التوبة : الآية : ١٢٢- الجن : الآيتان : ٢٢ و ٢٣ .

ولهذا تطلق الآية : ١٢٢ من التوبة النفير لطلب العلم والتفقه فيه :
﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ .

٣- والدعوة والقيادة تحتاج إلى علم وفنية . . تكتب فيها الأبحاث في عصرنا وتشير إليها بعض الآيات فلمنضم مع نبي الله لوط وقد كذبه قومه فيأمره الله : ﴿ فَاسْرِ يَا هَلِكَ يَقْطِيعُ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ [الحجر : ٦٥] . . يأمره بالخروج بأهله بعد أن يكون الليل قد مضى منه جزء فيخرجون في العتمة . . وأن يكون في آخرهم يمشي من بعدهم حماية لهم من أي غدر أو هجوم . . وليكن هدفكم واضحاً و يقينكم به راسخاً . . فلا يلتفت أحد عنه ولا تترددوا و امضوا حيث تؤمرون . .

- ويخاطب الله النبي محمداً ﷺ في أواخر سورة الصافات : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفِعْذَابِنَا يُسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِثِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ * وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ [١٧٤- ١٧٩] . . تتكرر مرتين :
﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴾ . . اتركهم . . أعطهم فرصة لإعادة النظر . . الإلحاح منفر . . وربما يستفز الرفض أكثر . . اتركهم لفترة بعد أن بلغتهم . . « وأبصرهم فسوف يبصرون » . . تأمل حالهم وحاجاتهم وظروفهم . . تفهم وضعهم فإنه الطريق لكي يبصرون . . والأخيرة : ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ . . اهتم بتصحيح رؤيتك . . ابدأ من نفسك . . طور ذاتك وأساليب خطابك . . فإن التغيير يبدأ من عندك . . وسوف يبصرون .

- وإشارة أخرى : ﴿ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ * فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٨-٨٩] ، بالعفو والسلام يصبح الخطاب مؤثراً .
ويمهد الطريق كي يتعلموا ويعلموا .

- وأخيراً : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] فابدأ من نفسك . واختيار الأحسن يحتاج إلى وعي . .
وأن تسمع كل الأقوال : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ [الزمر : ١٧-١٨] .

٥- سنن الإنجاز :

١- الإحسان : ويظهر ذلك في الآيات التالية :

النحل : الآية : ٣٠- النمل : الآية : ٨٩ - القصص : الآية : ٨٤ - لقمان : الآية : ٢٢- فصلت : الآيتان ٣٤ و ٣٥ .
﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ٢٢] .

فالإحسان يستتبع ما هو أحسن منه من نتائج .

٢- الاستقامة والقيام بالأسباب : ونجد ذلك في الآيات التالية :

النحل : الآية : ٧٦- الكهف : الآيتان : ٨٤ و ٨٥ - الأنبياء : الآية : ١٠٥- المؤمنون : الآية : ٦١ .

ومن ذلك أن تبدأ بنفسك وتحرض من حولك ﴿ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء : ٨٤] .

ولن تتمكن من تحريض الآخرين حتى تبدأ بنفسك فتصلحها وتلزمها . .
وهذا الذي يحرض الآخرين . .

٣- وهذا ما يقودنا إلى أثر القدوة والصحبة الجيدة في الارتقاء . . تفكر في الآيات التالية :

الكهف : الآية : ٢٨- الأنبياء : الآية : ٧٣- السجدة : ٢٤- الأحزاب : ٢١- فصلت : ٣٣- المجادلة : ١١- الممتحنة : ٦

ومن أجل ذلك يؤمر المؤمن بأن يصبر نفسه على صحبة المخلصين لله لأنهم التربة الخصبة لازدهار الإيمان والعمل الصالح : ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف : ٢٨] .

٤- أثر الصلاة : فهذه العلاقة الحميمة مع الله هي المحرك الذي يدفع المؤمن للعمل لبلوغ رضا الله . . تأمل الآيات :

الفتح : الآية : ٢٩- المزمل : الآية : ٦- الأعلى : الآيتان : ١٤ و ١٥ . . وخاصة قيام الليل ولهذا أمر النبي :

﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ * قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * يَصِفْهُ * أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ . . إن القرآن رسالة ثقيلة . . تتوجه بها إلى كل الناس لتغير دينهم وفكرهم وعاداتهم . . فيا له من عمل شاق يحتاج إلى نفوس قوية وعزائم راسخة شحذتها العبادة في العتمات . . وقلوب دائمة الاتصال بربها . . مارست التدريب المستمر على القيام حتى وجدت فيه راحتها وأنسها . .

٥- أثر الكلمة الطيبة . . وكما قال ﷺ : « إن من البيان لسحراً »^(١) . . إنها السحر الحلال . . ونجدها في :

(١) رواه البخاري من حديث ابن عمر .

البقرة : الآية : ٢٦٣ - إبراهيم : من ٢٤ إلى ٢٧ - طه : ٤٤ - الحج : ٢٤ -
النور : ١٥ و ١٦ - فاطر : ١٠ .

- فالقول المعروف يكون أحياناً أفضل من الصدقة : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى ﴾ [البقرة : ٢٦٣] .

- وحتى فرعون الذي قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ أمر الله نبيه موسى :
﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه : ٤٤] .

- وفي سورة إبراهيم ضرب الله مثلاً للكلمة الطيبة وكيف تعطي الخير باستمرار
لأنها إن أعطت أثراً في إنسان جعلت منه مصدر خير مستمر . . على عكس الكلمة
الخبیثة التي ترمى وتبدد « اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار » .

- ووصف الله عباده في الحج [٢٤] ﴿ وَهَدُّوْا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُّوْا إِلَى
صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴾ فالطريق إلى الله يبدأ من ممارسة القول الطيب .

٦- التوازن : في صرف المال والاعتدال بين البخل والإسراف : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ
يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ . . . ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

والتوازن بين ذكر الله والتجارة . . ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَكَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمٍ
الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ
الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
[الجمعة : ٩- ١٠] . تلك وصية الله : ذكرا الله أولاً . . والسعي للرزق ثانياً مع
ذكر الله كثيراً . . ومن هنا ينبثق الاقتصاد الإسلامي الناجح .

٦- تدوير الأعمال بحيث تعود على فاعليها :

فالخير يعود على فاعله بالنفع . . والمكر يوقع صاحبه بالفخ . . وعلى
الباغي تدور الدوائر . . إنها سنة عادلة من سنن الحياة . والآيات في ذلك
كثيرة . . منها :

البقرة : الآية : ٢٧٢ - والآية : ٢٨٠ - آل عمران : الآية : ٦٩ - النساء :
الآية : ١١٣ - الأنعام : الآية : ١٢٣ - الأنفال : الآية : ٣٠ - الأنبياء : الآية :
٧٠ - فاطر : الآية : ٤٣ - الصافات : الآية : ٩٨ - الليل : الآية : ١٨ .

- تأمل الآية : ٢٧٢ من البقرة : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ . . إن للأعمال الخيرة مردوداً رائعاً من حيث الرضى النفسي الذي ينعش القلب . . وكثيراً ما يكون لها مردود مادي في الدنيا أيضاً . . لنأخذ مثلاً بسيطاً . . إنك بفعل الخير تساهم في إنعاش المجتمع وإذكاء الدوافع النبيلة فيه مما يجعلك وأسرتك محاطاً بجو اجتماعي طيب متكافل ومتراحم . . وهذا أول الجزاء بعد الرضى النفسي .

وتأتي الآية ٤٣ من فاطر لتؤكد الأمر بقوة بليغة : ﴿ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولِينَ فَلَنْ نَحْدِ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَحْدِلْ سُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا . . ﴾ تأمل التأكيد الشديد لهذه السنة فهي التي حكمت حياة من قبلنا . . فكم مكر الكفار بمحمد ﷺ . . وكم مكر الأشرار عبر التاريخ . . فما لبثوا أن تساقطوا فيما حفرته أيديهم . .

- ومن ذلك أن الصبر والمغفرة تعود على المؤمن بالارتقاء والقوة والرسوخ في مواجهة الحياة ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣] فلا تقهره المصائب والعقبات . . بل كثيراً ما يتحول أعداؤه أولياء له وتفتح له القلوب والأبواب . . هكذا يرشدنا الله : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : ١٠] .

والأعمال الصالحات لها رفعة في الدنيا قبل الآخرة . . وسنن الله تضمن العزة لأصحابها .

الباب الثالث : سنن الصحة النفسية

ويعتبر هذا المصطلح من المصطلحات الحديثة.. إذ أن علماءنا في الماضي كانوا يعبرون عن التشوش والمرض النفسي بأنه مرض في القلب - بحسب تعبير القرآن - ولا مشكلة في تنوع المصطلحات وإنما المهم أن نفهم أعراض المرض ونبحث عن أساليب العلاج . ولا بد للخليفة - كي يؤدي دوره - من توفير أسباب الصحة النفسية والجسدية.. وقد سبق أن تحدثت عن الصحة الجسدية في كتابي : مقاصد القرآن .

ومع ذلك فقد أصبح معلوماً أن سلامة الجسد ترتبط بعلاقة جدلية مع سلامة النفس.. وسأتناول هنا بعض الوقفات مع الصحة النفسية وقد لاحظت في ذلك محورين : ١- إجراءات للحماية . ٢- إجراءات للشفاء .

١- إجراءات للحماية :

وسأتبعها في مجالين :

١- الحماية . ٢- ضمان سلامة المشاعر والتواصل الجيد .

١- الحماية : في عدة نواحي :

أ- من الأمراض النفسية :

أ- حماية من الشح بالصلح والإحسان . ونجد نماذج من ذلك فيما يلي :

النساء : الآية : ١٢٨- الحشر : الآية : ٩- التغابن : الآية : ١٦ .

ب - حماية من الخداع وازدواج الشخصية (النفاق) : البقرة : من ٩ إلى

١٢- التوبة : ٧٧- النحل : ١٠٥ .

ج - ومن الكبر والشقاق : ص : الآية : ٢ .

د - ومن اليأس : يوسف : الآية : ٨٧ - الحجر : الآية : ٥٦ .

ك - الحماية من الخوف والحزن : البقرة : ٣٨ - ٦٢ - ١١٢ - ٢٦٢ - ٢٧٤ - ٢٧٧ .

آل عمران : ١٥١ - ١٥٣ - ١٥٦ - ١٧٠ - المائدة : ٦٩ - الأنعام : ٤٨ - الأعراف : ٣٥ - يونس : ٦٢ - الأنبياء : ٨٨ - فصلت : ٣٠ - الأحقاف : ١٣ - المجادلة : ١٠ - الحشر : ١٣ - الذاريات : ٥٠ .

- فلتأمل علاج الشح : ﴿ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٨] .

الشح النفسي كان يسيطر على الموقف بحيث يفكر كل طرف بحقوقه فقط دون مراعاة للطرف الآخر . . لكن الله الخبير بالأعمال وبما يدور في النفوس يقول لهما انتصرا على الشح الحاضر في هذا الموقف بالصلح والإحسان فإن الصلح خير من تمزيق عرى الأسرة وهدم المؤسسة الأولى في المجتمع . والحياة الأسرية والإنسانية لا تزكو ولا تنمو إلا بالإحسان فليتنافس كل طرف بمقدار ما يعطي لا بمقدار ما يسيطر ويتحكم . .

- وفي الآية : ٩ من الحشر يتحدث عن الانتصار : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . . فما أعظم هذا الانتصار بالإيثار على الشح . . يكفي أنه خلد ذكرهم في القرآن .

- ونلاحظ أن الحماية من الخوف والحزن قد نصت عليها عشرون آية فيما رأيت وسجلت . فلتأمل ذلك .

أما الحزن فيكون على ما حدث في الماضي . . فإن لم يتخلص الإنسان منه

أصيب بالإحباط والاكتئاب وعجز عن التحرك لأداء دوره . . وأما الخوف فيكون من القادم في المستقبل . . والخوف قد يشل الحركة والتفكير . فالآيات تطمئن الإنسان وتخلصه من سلبات الماضي وتؤمّن خوفه ليتقدم نحو المستقبل . وكل المطلوب منه أن يتحلى بصفة من هذه الصفات : ١- « من تبع هداي » البقرة : ٣٨ . ٢- « من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً » البقرة : ٦٢-٣- « من أسلم وجهه لله وهو محسن » البقرة : ١١٢-٤- « الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى » البقرة : ٢٦٢-٥- « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية » البقرة : ٢٧٤-٦- « آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة » البقرة : ٢٧٧-٧- « الذين قتلوا في سبيل الله . . آل عمران : ١٧٠-٨- « آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً » المائدة : ٦٩ وكذلك في الأنعام : ٤٨-٩- « فمن اتقى وأصلح » الأعراف : ٣٥-١٠- « أولياء الله » يونس : ٦٢-١١- « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا » فصلت : ٣٠ هؤلاء ينطلقون إلى الحياة ويؤدون دورهم في الخلافة والإصلاح بنفوس مطمئنة إلى عون ربها . وتبقى بعض الآيات التي تنص على الخوف والحزن بأسلوب آخر . . ففي آل عمران : ١٥١ و ١٥٦ يذكر رعب الكفار والحسرة في قلوبهم . . وفي الحشر : ١٣ يذكر خوف المنافقين من المؤمنين . وفي آل عمران : ١٥٣- والأنبياء : ٨٨ الحديث عن النجاة من الغم والحزن . وفي المجادلة : ١٠ يأتي النهي عن النجوى حتى لا يحزن المؤمنون . وفي الذاريات : ٥٠ يقول الله فروا إلى الله من كل خطر . ولا ننسى السكن والمودة والرحمة التي جعلها الله بين الزوجين لتعطيها التماسك الكافي أمام صعوبات الحياة . الروم : ٢١ .

٢- الحماية من الضغط النفسي - ويبدو ذلك في :

منح السكينة : التوبة : ٢٦-الفتح : ٤-و ١٨-و ٢٦-والوصول إلى طمأنينة

القلب بذكر الله : الرعد : ٢٨ والتمتع بالرضي : طه : ١٣٠- الفجر : ٢٧
و٢٨- الليل : ٢١- الضحى : ٥- وصلاح البال : محمد : ٢- والحماية من
الوسوسة الناس - وفي منح الأمن لمن لم يظلم : الأنعام : ٨٢- قريش : ٤-
وفي الحماية من المشقة والإرهاق : النساء : ٢٨- طه : ٢- و١٢٣ و١٢٤-
الحج : ٣١- الشرح : ٥ و٦- والتخفيف والتجاوز عند الضعف : الأنفال :
٦٦ .

والحماية من الإكراه والكبت : البقرة : ٢٥٦- النور : ٣٢- المجادلة :
٥ .

والحماية من الذلة والمسكنة : البقرة : ٦١- آل عمران : ١١٢- والحماية
من الأذى : الأحزاب : ٣٢ و٣٣- و٥٩ .

ومن أبسط الأمثلة ما ذكر في سورة طه (١٢٣- ١٢٤) « فإما يأتينكم مني
هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري فإن له
معيشه ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » .

تأملوا حياة الناس من حولكم . . هل هي مثقلة بـ (الضنك) أم
الرضى . . ؟! وما هي أسباب ذلك ؟ فإن لكل حال سنة وقانوناً . . وما كان
ربك بظلام للعبيد .

٣- الحماية من فتنة القلوب : ونجدها في مواضع كثيرة من القرآن منها :

- الحماية من النفور : آل عمران : ١٥٩- تطهير القلب من الإثم : البقرة :

٢٨٣ .

- حماية القلب من القسوة : الحديد : ١٦- المطففين : ١٤- أثر الإيمان

بالآخرة : النحل : ٢٢ .

- الحماية من الفتنة في العلاقة بين الرجل والمرأة : الاستئذان : النور :

٢٧- غض البصر وستر الزينة : النور : ٣٠ و ٣١- التزويج : النور : ٣٢-
الأحزاب : ٥٣ .

- ومن الإغواء وطمع مرضى القلوب : الأحزاب : ٣٢- أثر الصلاة :
العنكبوت : ٤٥ .

- أثر التزكية : عبس : ٣ و ٤- الأعلى : ١٤ و ١٥ .

إن الأخلاق والآداب التي يأمر بها القرآن هي سنن وقوانين لتحقيق الطهارة
وتزكية النفوس وحتى العبادات التي يؤديها المؤمن تمده بمستوى عال من
التأهيل لأداء الأمانة بحيث يسلك الصراط المستقيم الذي يوصله إلى الهدف
بأقل وقت وجهد وكلفة.. وقلبه مملوء بسكينة الإيمان.. هذه الإجراءات
ترفعه إلى مستوى من التمكين يساعده على اقتحام العقبات « فلا اقتحم
العقبة »..

ولا بد من تسليط الضوء على المستوى الذي يجب أن يرقى إليه القائد
(الإمام).. ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩].. فهو لئِن لا فظاً ولا غليظ القلب.. وإلا نفروا
منك وتفرقوا عنك.. اعف عنهم واستغفر لهم إن أخطأوا.. ومع ذلك
شاورهم في الأمر.. حرك عقولهم واشحذ همهم واحترم طرحهم للأمور..
ولا شك بأن سماع الآراء المتعددة يجعلك تحيط بالأمر من كل جهاته
ويوصلك إلى القرار السليم.. ورغم كل اللين وخفض الجناح.. فإن المضي
في تنفيذ القرار الذي توصلتم إليه ضروري جداً.. فإذا عزمتم فتوكل
على الله.. والقائد الناجح لا يتردد بعد أخذ القرار.. وهذا لا يعني التوقف
عن النقد والتمحيص وتأمل العواقب والقدرة على التصحيح في الوقت
والمكان المناسبين..

٢- ضمان سلامة المشاعر والتواصل الجيد . . وهو أمر لا بد منه ل تماسك الأمة .

والإجراءات هنا تتنوع ما بين الأحكام في المعاملات . . وتطهير القلب كي يمارس الأخلاق والآداب .
فلنتأمل الآيات التالية :

الحماية من الريبة (بالأمر بكتابة الدين) البقرة : ٢٨٢- الحماية من البغضاء والعداوة بتحريم الخمر والميسر : المائدة : ٩١- النهي عن النجوى : النساء : ١١٤- المجادلة : ١٠ .

- الأمر بالقول الحسن : الإسراء : الآية : ٥٣- الزخرف : الآية : ٨٩- الأمر بالعفو : النور : الآية : ٢٢ .

- الدفع بالتي هي أحسن : المؤمنون : الآية : ٩٦- القصص : الآية : ٥٤- فصلت : الآية : ٣٤ .

- التوازن العاطفي وعدم التسرع : البقرة : الآية : ٢١٦- الحديد : الآية : ٢٣ .

- وهنا يلفت نظري أمران على غاية الأهمية في تحقيق التواصل الجيد بين أفراد الأمة .

الأول : هو خطورة دور الكلام وأهمية تعلم فن الكلام . . وقد ذكر القرآن أنواعاً من القول إذ أن لكل مقام مقال . . فهناك : القول المعروف والقول الميسور والقول البليغ - والقول الذي فيه خضوع . . والقول السديد . . وهو القول الذي يسدد بدقة كي يصل إلى الهدف ويؤثر بالشكل المطلوب . .

وأما القول البليغ فهو الشديد المؤثر الذي يجب أن يقال لأصحاب الذنوب

الكبيرة أو المنافقين . . على عكس القول الخاضع الذي يضيع الحقوق ويغري أصحاب الشهوات بتجاوز الحدود .

وأما القول المعروف فيحمل بين ثنياه التلطف والإحسان . . والقول الميسور هو البعيد عن التكلف والذي تسمح به نفس المتكلم من خير . . ولعل القول السديد هو الذي يختار المناسب لكل ظرف .

نحن في عالم بدأ يدرك أهمية الكلمة . . متى نتكلم . . متى نسكت . . متى تسمع وتنصت . . إنها مهارات لا بد من التدريب عليها لأن لها أثراً كبيراً في تقويم العلاقات الاجتماعية .

الثاني : أهمية الدفع بالتي هي أحسن . . إذ يقرّ الله تعالى قانوناً لتحول العدو إلى ولي حميم . . ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] لكن المسلمين كأنهم لا يؤمنون بهذا القانون في حياتهم العملية . . ويخلطون بين الضعف والإحسان ، الإحسان عطاء صادر من قوي قادر على الإساءة . . أما الضعف فهو استسلام العاجز الذي لا يملك فهماً للسن وليس له في الحياة مبدأ أو موقف . . الضعف يدعم المستكبر ويجعله يتمادى في الطغيان أما الإحسان فيكسر العداوة ويتسلل إلى القلوب ليهيمن عليها . . الضعف محتقر وممجوج . . لكن الإحسان يجعل الآخر يخجل ويتراجع عن خطئه . . في الضعف نخسر جميعاً : المستضعف والمستكبر . . وفي الإحسان يربح الجميع ولا يخسر أحد . . لكنه لا يصدر إلا عن علم ونفس صافية مُحَبَّةً وصبورة . . ﴿ وَمَا يُلْقِلْهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِلْهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٥] من أوتي القدرة على الإحسان هو صاحب الحظ العظيم بشهادة الله . . فما بال المسلمين عن كلام ربهم معرضون . . ؟! ولو وصف الطبيب لهم دواء لوثقوا به وتناولوه . . أفلا يثقون بالعلیم الحكيم حين يحدد لهم علاج العداوة والكرهية . . ؟!

٢- إجراءات للشفاء :

وقد لاحظت ذلك في ثلاثة مسارات في القرآن الكريم :

١- القرآن شفاء ورحمة : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] .

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۖ ۝ ١٠٥ ﴾ [الإسراء : ٨٢] .
﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَعِجْبِي ۖ وَعَرَبِي ۚ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ ﴾ [فصلت : ٤٤] .

وفيه هداية للسلام : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُم سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [المائدة : ١٦] .

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ [طه : ٤٧] وإنزال السكينة على قلوب المؤمنين :
﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا ﴾ [الفتح : ٤] .

٢- تزكية النفس : ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ ۚ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ ذَٰلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٢] .

إن الرضى بالشريك عند الزواج يحقق التزكية والتطهير للقلب من الفتن والأحزان ، وإن الله قد منح المودة والرحمة للنفس بالأزواج ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم : ٢١] .

- وإن تلاوة القرآن على المؤمنين تزكي أنفسهم ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ۚ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

- ومن أساليب التزكية الصدقة والإنفاق ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَيُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

- وغض البصر والعفة تزكي ﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا

فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴿[النور : ٣٠] .

- ولا بد للداعي أن يترفق في عرض الحق ولو كان فرعون الطاغية : ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات : ١٨-١٩] . ومن التزكية أن تستعمل أساليب متنوعة لشفاء مرضى القلوب فقد عرضت الآية : ٦٣ من سورة النساء نماذج من هذه الأساليب : الإعراض - الموعظة - والقول البليغ .
- وقد يقتضي الأمر أحياناً قتال المعتدي وعقابه والقصاص لشفاء صدور المؤمنين .

وإن كان الشفاء الأعظم لما في الصدور يتحقق بمواعظ القرآن وهدايته ورحمته .
ولنتأمل ما يوجهنا إليه رب العالمين ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر : ٩٧-٩٩]
ففي ذكر الله علاج لضيق الصدر .

٣- رفع المعنويات . . وإن الله كثيراً ما يبشر المؤمنين ويذكرهم بامتيازهم ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء : ١٠٤] . . ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وِرْحَمَتَهُ فِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس : ٥٨] . . كذلك عندما يقارن بين المؤمنين والكافرين ويحرض المؤمنين على التفوق : ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال : ٦٥] ويعلل بأن غير المؤمنين لا يفقهون . . فتأمل .

ونلاحظ أخيراً أن إجراءات الشفاء أقل من إجراءات الحماية والوقاية . . وذلك لأن الحماية هي أولاً وهي الأهم . . فإن توفرت الحماية منذ البداية . . قلت الحالات التي تحتاج إلى علاج وشفاء . وقد وضع القرآن القواعد والأسس وترك التفاصيل والإجراءات للأخصائيين في العلوم النفسية كي يستخدموا أفضل ما استجد من معارف ووسائل في العلاج النفسي والاجتماعي .

* * *

الفصل الثالث

سنن تتعلق بالمجتمع

ولا بد من التنويه إلى أن الأمة - المجتمع - تملك مصيرها أكثر من الفرد لأن نتائج الأعمال في الدنيا جماعية - كما سيأتي الشرح بعد قليل - لكن الفرد يحدد مصيره في الآخرة حيث تكون النتائج فردية ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم : ٨٠] وأحياناً يحصد نتائج في الدنيا ولكن على المدى البعيد... وقد تناولت الآيات التي تنص على تحديد المسؤولية عن المصير في الباب الثالث من استخلاف الإنسان . وكثيراً ما نصاب بالإحباط حين نرى معوقات البيئة وضلال الأكثرية إذ يخيل إلينا أن جهود المصلحين في المجتمع المتخلف تذهب هباءً... لكنها بذور تنمو ببطيئاً لتشق الأرض فيما بعد وتؤتي أكلها بإذن ربها .

وفي تبعية للآيات التي تنص على سنن حياة المجتمع... لاحظت أربعة مسارات :

١- هذا الكتاب يصنع خير أمة ويحميها .

٢- سنن تماسك الأمة .

٣- سنن تحقيق التوازن للأمة .

٤- سنن حصول الأمة على الدنيا .

* * *

الباب الأول : هذا الكتاب يصنع خير أمة ويحميها

- فهو هدى للمتقين . . وهو الذي يسوق الأمة إلى الصراط المستقيم . . بحيث تصل إلى فلاح الدنيا والآخرة بأقل وقت وجهد وكلفة . . (وهو تعريف الصراط المستقيم) . . وفيما يلي نماذج من ذلك :

البقرة : الآية : ٢ - والآية : ٢١ - والآية : ١٤٣ - والآية : ١٨٦ (يمنح الرشد) .

آل عمران : الآية : ١٠٤ - والآية : ١١٠ - النساء : الآية : ١٠٤ - والآية : ١٧٠ - النحل : الآية : ٩٥ - الإسراء : الآية : ٩ - طه : الآية : ٧٣ - الأنبياء : الآية : ١٠ - الحج : الآية : ٧٨ - المؤمنون : الآية : ٧١ - العنكبوت : الآية : ١٦ - الروم : الآية : ٣٠ - سبأ : الآية : ٦ - الشورى : الآية : ٥٢ - محمد : ٣٥ الجمعة : الآية : ٢ - البينة : الآية : ٧ .

- فالأمة الوسط هي أفضل أمة لأنها بعيدة عن الغلو وعن التفلت . . ومن المعلوم أن الذي يقف في الوسط يملك زاوية في النظر أوسع . . وفي العربية : واسطة العقد هي الجوهرة الكبيرة في وسط العقد . وقد قرر الله أن المسلمين هم الأمة الوسط ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ . . ﴾ [البقرة : ١٤٣] تشهدون مسارات الأمم الأخرى وتملكون إطلاق الأحكام عليها وتشهدون على صلاحها أو ضلالها . . فأين أنتم يا أمة الإسلام !؟

- والآية (١١٠) من آل عمران تذكر الصفات التي استوجبت أن يكون المسلمون خير أمة : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ . . ﴾ .

- وبهذه الصفات تنال الأمة العزة وتذكر بالخير عبر التاريخ ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء : ١٠] آل عمران : ١٣٩- الإسراء : الآية : ٧٠- فاطر : الآية : ١٠- المنافقون : الآية : ٨ .

بينما يحصد المشركون الذل من حيث كانوا يرجون العزة :

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم : ٨١- ٨٢] - ألا ترون إلى الذين يعلقون مصيرهم على رؤساء الشرق والغرب فيخضعون لهم وينفذون أوامرهم ظناً منهم أنهم سينالون العزة بهم ويمنحونهم ما يرجون من الكراسي والمناصب . . لكنهم - ويا للأسى - ما هم إلا ﴿جند محضرون﴾ لكبراء العالم يرسمون لهم الخطط والأدوار . . فإذا انتهت أدوارهم نفذوا أيديهم منهم وتخلصوا منهم وكانوا عليهم ضداً . . من كانت له عينان فلينظر ماذا حل بكثير من رؤساء دول العالم المتخلف . . (مثل : صدام حسين - وعلي عبد الله صالح في اليمن) .

* * *

الباب الثاني : سنن تماسك الأمة

وقد لاحظت اثني عشر قانوناً تعرضها الآيات :

١- الاجتماع على مركزية التوحيد :

الأنفال : الآية : ٦٣- التوبة : الآية : ٢٤- الأنبياء : ٩٢- المؤمنون : الآية : ٥٢ .

- تأمل آيتي الأنفال : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ * وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ . . . ﴾ .

إن مال الدنيا كله لن يخلق أمة صلبة متماسكة . . لكن الإيمان بالله يصنع منهم كياناً متجانساً متراسماً . . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُلَيْنٌ مَرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤] .

- وحينما تختل مركزية التوحيد وتصبح الأولوية للهوى والشهوات فاقراً على الأمة السلام . . ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [مريم : ٥٩] .

٢- ترك الولاء للكافرين :

الأنفال : الآية : ٧٣- المجادلة : الآية : ٢٢- الممتحنة : الآية : ١ .

والولاء علاقة خاصة ما ينبغي أن تكون إلا بين المؤمنين بالله . . إنها لا تعني الحب وحده . . ولا الإحسان . . لأنك قد تتعامل بهما مع الكافرين . . فقد كان النبي ﷺ والمؤمنون يحبون الناس ويتمنون لهم الهداية ﴿ هَآتَانِمْ أَوْلَاءَهُمْ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا

يُحِبُّونَكُمْ ﴿[آل عمران : ١١٩] . . وفي سورة الممتحنة يوضح الله المطلوب : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ فالبر هو الإحسان والقسط هو العدل . . والله لا ينهي عنهما مع المخالف في الدين . . بل إن الله يحب ذلك . . ﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ وما أشد خسارة من يجعل عدوه ولياً له . . الولاء هو حب وانتماء ومناصرة في خدمة قضية واحدة يؤمن بها الطرفان ويجندان أنفسهما لخدمتها . . والمؤمن وليه الله ورسوله ثم المؤمنون . . ولا يمكن أن يسلم أموره لعدوه ويسمح له أن يخطط لحياته ويطيع أوامره . . وهو أمر لم يدركه المسلمون بجلاء . . فهم يحقرون من لا يدين بالإسلام . . ومع ذلك تراهم يسلمون أولادهم لمربيات غير مسلمات ويضعونهم في مدارس تبشيرية . . !!

٣- تجنب التفرق والنزاع : ولنتأمل الآيات التالية :

آل عمران : الآية : ١٠٣ - المائدة : الآية : ١٤ - والآية : ١٦ - الأنفال : الآية : ٤٦ - هود : الآيتان : ١١٨ و ١١٩ - الإسراء : الآية : ٥٣ - الحج : الآية : ٥٣ - القصص : الآية : ٣٥ - ص : الآية : ٢ - الشورى : الآية : ١٤ - والآية : ٤٠ - والآية : ٤٣ - الصف : ٤ .

- يأتي الأمر الرباني : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا . . ﴾ [آل عمران : ١٠٣] . . ولا يكتفي الله بذلك بل يبين لهم أن رغبة الشيطان قوية في إفساد العلاقات بينكم . . فاحذروه والتزموا القول الطيب . . وحلّوا خصوماتكم بالعدل والعفو . . ﴿ وَجَزَّوْا سَيِّئَاتِكُمْ سَيِّئَةً مِثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ * وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ

لَمِنْ عَزَمِ الْأُمُورَ ﴿[الشورى : ٤٠-٤٣] . . ولنا أن نتأمل ما تطرحه آيات (الشورى) من أولها . . ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ [٣٩] كيف ينتصرون ؟! لم لا يكون المعنى : ينتصرون على غضبهم وعلى الرغبة في الانتقام في أنفسهم . . وبذلك يستطيعون الارتقاء إلى العفو والإصلاح بدلاً من القصاص . . إن هذا هو الطريق الأمثل للقضاء على النزاع .

٤- تجنب الفظاظة وغلظة القلب :

آل عمران : الآية : ١٥٩- والأمر بالتزام الكلم الطيب : الإسراء : الآية : ٥٣ ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ . . . ﴾ . . واختيار القول الأحسن يحتاج إلى تقوى وذكاء ومعرفة بطباع من تخاطب . . فالأحسن بالنسبة لك قد لا يكون هو الأحسن لإنسان آخر . . ومع ذلك تبقى هناك أصول مشتركة للكلام الطيب الذي يعرف من ثماره . . ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم : ٢٤-٢٦] .

- كل ذلك لتجنب النفور والتفرق بين المؤمنين ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . . ﴾ [آل عمران : ١٠٣] كلها إجراءات لضمان التماسك في الأمة بالحرص على كرامة الآخر واحترامه .

٥- ترك ما يثمر العداوة :

النهي عن الخمر والميسر : المائدة : الآية : ٩١ .

والأمر بالصلاة لأنها : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ . . ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

٦- ومن يسعى في الإصلاح ينال الرحمة والخير :

النساء : الآية : ١٢٨- الحجرات : الآية : ١٠ .

فالآية في النساء تستبطن المشاعر الإنسانية وكيف يحاول الشح أن يسيطر على النفس : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ . . . والصالح في الأسرة هو بذرة التصالح في الأمة . . . وهو ما تأتي آية الحجرات لتؤكدده ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ . . .

هل تريد للأمة أن يعمها الخير وتغشاها الرحمة . . ؟ الطريق هو إشاعة التصالح بين رعاياها .

٧- النهي عن النجوى :

للإبقاء على صفاء الود في النفوس : النساء : الآية : ١١٤- المجادلة : الآية : ١٠ .

مع استثناء حالات تكون فيها النجوى هي الأفضل كما ورد في الآية ١١٤ من النساء .

« لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس » .

٨- والأمر بالتفصح بالمجالس :

المجادلة : ١١ « إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم . . » افسح لأخيك مكاناً في قلبك . .

٩- التوازن العاطفي وعدم التسرع والانسياق وراء العواطف . .

النساء : الآية : ١٩ - الحديد : الآية : ٢٣ . . « فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .

والدين لا يلغي العواطف ولا يمكن إلغاؤها فهي جزء من تكوين الإنسان . . لكنه يضع لها الضوابط لأنها إن جمحت وترك لها العنان . . زلزلت العلاقات الاجتماعية في الأمة .

١٠- أهمية وجود النخبة :

هود : الآية : ١١٦ - المؤمنون : الآيات من ١ إلى ٩ - الأحزاب : الآية : ٣٢ - الفرقان : الآيات الأخيرة .

النخبة الجيدة الواعية هي مركز الثقل في المجتمع . . ترشده عند الأزمات وترده إلى الخير عند الفتن ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [هود : ١١٦] . . وما أجمل حديث المؤرخ توينبي عن دور النخبة في المجتمع . . إنها جماعة من أفراد الأمة تدرك معاناة الأمة وترى مشاكلها . . فتمارس الانسحاب بعيداً عن الناس لتفكر في الحلول وتخطط للنهضة . . ثم تعود إلى الأمة لتقود الناس إلى النهضة . . ولأنها عرفت بالنزاهة والصدق ورجاحة العقل فإن الناس ينقادون إليها ويلتزمون بأمرها . . ومع مرور الأيام تتحول هذه النخبة المبدعة إلى جماعة مهيمنة تحكم الناس بالسوط والعصا . . وتردى الأمة من جديد بانتظار نخبة جديدة . . إن هذا لا يلغي ضرورة نشر العلم والتوعية في عامة الناس بل إن هذا يضمن استمرار ظهور النخب .

١١- الاستنفار لحماية الأمة فكرياً ومادياً . .

وهذا ما تقتضيه صيانة الأمة من عدوها الداخلي والخارجي . .

البقرة : الآيتان : ٢٤٣ و ٢٤٤ وفيهما التأكيد على أن التخاذل موت للأمة . فيأتي الاستنفار : التوبة : الآية : ٣٩ - والآية : ٤١ - والآية : ١٢٢ - طه : الآية : ١١٤ .

ولأن إعراض الناس عن الحق سببه الجهل ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٤] يأتي الاستنفار للتعليم والتعليم : ﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

إنها فكرة الانسحاب والعودة للنخبة.. ولكن بمصطلحات مختلفة.. ولا تنسى أن الله خاطب النبي نفسه ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤].. لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .

١٢- تبليغ العلم يحمي المجتمع :

المائدة : الآية : ٦٧- ﴿ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

إنني أفهم من الآية أن التبليغ ينشر العلم في الأمة ويخلق جواً محصناً يحمي الدعاة إلى الخير من كيد الخبثاء وهو ما أشارت إليه الآية ١٨ من سورة الأنبياء : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾ .

وقد سبق أن تحدثت حول هذا الموضوع عند استخلاف الإنسان تحت عنوان :

٤- خطورة نقص العلم وأهمية الدعوة والتبليغ .

* * *

الباب الثالث : سنن تحقيق التوازن للأمة

وقد لاحظت ثمانية عناوين في هذا المجال :

١- إقامة العدل وأداء الأمانات :

البقرة : الآية : ٧٩ - والآية : ٢٣١ - النساء : الآية : ٣ - والآية : ٩ -
والآية : ٥٨ - والآية : ١٣٥ - المائدة : الآية : ٨ - الأعراف : الآية : ١٥٩ -
والآية : ١٨١ - النحل : الآية : ٩ - الإسراء : الآية : ١٥ - والآية : ٣٥ - ص :
الآية : ٢٤ - المطففين : الآية : ٣ .

- والأمة حين يفقد فيها العدل تعيش على فوهة بركان.. فالتطبقات
المظلومة تعيش حالة غليان وتتربص الفرص للانفجار.. والويل للأمة حين
يثور المظلومون فيجتاحون كل شيء.. عندها يخسر الجميع ولا يربح أحد..
لكن الظالم يظن أنه هو الرابع.. وكم نخسر جميعاً من إهمال الأمر القرآني
« سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ».. ولو درسنا التاريخ
لعرفنا أن الفراعنة سيغرقون مع شعوبهم حين يضرب الظلم أطنابه في
المجتمع.. ولهذا تأتي الآيات : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا
حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ * يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ
كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿ [النساء : ٥٨-٥٩] .

فالآيات تنبه إلى آثار الدنيا قبل الآخرة.. لأن العدل هو الركيزة الأولى التي
تحفظ توازن الأمة .

٢- ضبط الإشاعات :

النساء : الآية : ٨٣ - النور : الآية : ١١ - والآية : ١٥ - والآية : ١٩ -
الحجرات : الآية : ٦ .

فلنتأمل الآية : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
الرَّسُولِ وَالْإِلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ٨٣] . . إن معنويات الناس في
المجتمع تحتاج إلى رعاية . . والأحداث والأخبار لا بد أن تخضع لدراسة من
المختصين لتحديد ما الذي يجب إعلانه لأنه ينفع الناس ويرفع همهم . . علماً
بأن أكثر الإشاعات في الأصل تكون كاذبة . . وتزلزل الصحة النفسية لأفراد
الأمة .

٣- احترام حرية الفكر والدين :

البقرة : الآية : ٢٥٦ - الأنعام : الآية : ١٠٨ - يونس : الآية : ٩٩ -
الكهف : الآية : ٢٩ الصافات : الآيتان : ١٧٤ و ١٧٥ - والآيتان : ١٧٨
و ١٧٩ - الشورى : الآية : ٨ - الغاشية : ٢١ و ٢٢ .

فلننظر إلى الاحترام الذي تعلمنا إياه الآية ١٠٨ من سورة الأنعام :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ
أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . . اسمعوا يا مسلمين :
لا تسبوا أصنام الناس ولا تحقروا معتقداتهم . . فتستفزوا عداؤهم ويقابلوكم
بالمثل فيسبوا ربكم . . فما أسوأ هذا الأسلوب . . !! فكيف تدعوهم إلى دينك
وقد استنفرت عداؤهم . . ؟! إن كل أمة تظن أنها على الحق . . ولا تنس أن الله
الذي سيحاسب ولست أنت . . وقد تكون بأسلوبك هذا سبباً لإعراضهم فتبوء
بجزاء « الذين يصدون عن سبيل الله » عند ربك . .

- ولو شاء الله لخلق كل الناس مهتدين لكن امتحن الناس بإعطائهم العقل وحرية الاختيار وبذلك يصبح الثواب والعقاب عادلاً . ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] .

٤- حرمة دم الإنسان :

المائدة : الآية : ٣٢- القصص : الآية : ١٥- والآية : ١٩- ابتداءً إن القتل من عمل الشيطان كما قال موسى في القصص : ١٥ ولا يتقاتل إلا الذين لا يعقلون : ﴿ لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر : ١٤] .

ولقد قصت علينا سورة المائدة خبر ابني آدم وكيف رفض القتل اسلوب القتاتل لحل النزاع ولم يقبل حتى أن يدافع عن نفسه . . وقد يقول قائل . . لكنه قد قُتل . . ؟! فلنتأمل كيف ستكون العاقبة لو أنه دافع عن نفسه . . ؟ سيقتل أحدهما الآخر . . أو يقتل الطرفان . . ويصبح الموضوع كخبر أي جريمة تحدث على الأرض . . ولا يستحق أن نخبرنا الله عنه « واتل عليهم نبأ ابني آدم . . » لكن الذي رفض القتال قد حول الأمر بحيث يندم القتاتل ويتوب وتصبح القصة نموذجاً على فعالية كف اليد ولو من طرف واحد في إنهاء النزاع . . وذلك ما تحاول الإنسانية الارتقاء إليه . . لقد ملأت الحروب الأرض بالدماء . . وتنادى العقلاء لابتكار أسلوب جديد لإحقاق الحق وإحلال السلام . . ويجدر بنا أن ندرس ونتأمل تجربة غاندي في تحرير الهند من الاستعمار البريطاني . . يعلق المؤرخ توينبي على مشهد مغادرة القوات البريطانية للهند في عام ١٩٤٧ في جو من البهجة المتبادلة . . (غاندي لم يحرر الهند فقط . . بل حرر بريطانيا العظمى) . (صفحة ١٢٤ من كتاب غاندي الإنسان - الكاتب إكناث إيسوران - ترجمة غياث جازي) - وفي الصفحة ١٢٥ يذكر حديثاً وجهه لغاندي سكرتير الجنرال سمتس - المسؤول البريطاني في

الهند - (تمنيت أن تلتزم جانب العنف . . حينها سنعرف على الفور كيف نسوي الأمر معك . لكنك لن تؤذي حتى عدوك . أنت تبتغي الانتصار ملتزماً بحدود مفروضة ذاتياً قوامها اللطافة والنبيل . . وهذا ما يجبرنا على الوقوف عاجزين) .

مع ملاحظة أن تطبيق العقوبات على الجرائم داخل المجتمع يوفر الأمن ويضمن احترام القانون ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوا لِأَلْبَسِ ﴾ [البقرة : ١٧٩] .

٥- تفتيت الثروة :

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٧] . . إن الله بتنظيماته المالية يزيل الفوارق الطبقيّة بين الأغنياء والفقراء . . تأمل الآيات التي تتولى توزيع الإرث في صدر سورة النساء . . وتشريع الزكاة على أنها إحدى عناصر أركان الإسلام الخمس . . والأمر بالإنفاق . . وتحريم الربا . . كل ذلك يخلق توازناً مادياً في المجتمع المسلم . . حتى أن العالم الإسلامي رغم تخلفه وبعده عن مبادئ الإسلام قلما وجد فيه الإقطاع الذي أدى إلى مشاكل كبرى في العالم الغربي .

٦- تحاشي ضرر المنافقين :

التوبة : الآية : ٤٧ - محمد : الآيتان : ٢٩ و ٣٠ . . ولا بد للمشرفين على سلامة المجتمع من أن ينتبهوا لهذه الشريحة المريضة حتى لا تنشر العدوى والفساد : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَثَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعَرَّفْنَاهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَّفْنَاهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ ولا بد أن يعاقبوا إن تمادوا في الأذى : ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا *

مَلْعُونِينَ أَتَيْنَا نِقْفًا أَخَذُوا وَقْتَلُوا تَفْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿[الأحزاب : ٦٠-٦٢] هكذا حدث لهم في التاريخ . .

٧- سنة الاختلاف والتدافع تحمي الأمة من الركود وتطورها . .

البقرة : الآية : ٢٥١- ﴿ وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ . . وكذلك يبين في سورة هود : ١١٨-١١٩ ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ . . . ﴾ . . الاختلاف والتعددية أمران ضروريان لإحداث رؤى جديدة ولإحداث تلاقح جديد يثمر نمواً وانطلاقاً إلى ما هو أفضل . . وكذلك في الحج : ٤٠ .

٨ - هلاك الأمة بفسق المترفين فيها ومكرهم :

الأنعام : الآية : ١٣١- النحل : ٢٦- الإسراء : ١٦- المؤمنون : ٧١ إذ أن اتباع الهوى يمكن أن يفسد الكون كله ومع ذلك فهناك فرصة لنجاة الذين ينهون عن السوء ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٥] . . إن مترفي الأمة يملكون موارد الأمة . . فإن وضعوها في الفسق والإفساد حق الدمار ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] .

والآية ٢٦ من سورة النحل تستحق منا وقفة . . « قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون » .

إنها صورة دقيقة ومرعبة للأمة التي ضاعت منها مركزية التوحيد وانحسرت عنها المبادئ الأخلاقية فانطلقت وراء المال والسلطان والبنیان . . تحصل على ذلك كله بالمكر والتلاعب بمصالح الناس . . لكن البناء قد بني على الكذب

والاحتياال والمكر . . وهي أمور لا تصلح لتكون قواعد متينة تحمي البناء . .
تأمل الصورة كم هي بليغة . . بناء أسسه منحورة . . وكل خبيث يسلط عليه
من هو أخبث منه . . وكل باطل لابد أن يهوي حين يأتي الحق . . فكيف لا يخر
السقف عليهم من فوقهم . . ؟ ! إنها أمة بلا قواعد . .

* * *

الباب الرابع : سنن حصول الأمة على الدنيا

والإسلام لا يحرم أتباعه من الدنيا . . بل هو موعود إن التزم بأوامر الله بأن يحييه حياة طيبة في الدنيا - كما سيمر معنا - وطلب ثواب الدنيا ليس محظوراً . . ولكن ابحث عنها من مصادرها . . ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ [النساء : ١٣٤] إن الدنيا محكومة بسنن الله . . وأنا أحاول هنا أن أتلمس بعض هذه السنن . . فالمسلم مطالب بالخلافة في الأرض وأن يجعل الحياة تنمو وتتطور إلى أحسن حال . . وفي جولتي مع آيات القرآن وصلت إلى المسارات التالية :

١- إرادة الدنيا والقيام بأسبابها :

هود : الآية : ١٥ - الإسراء : الآية : ١٨ - الشورى : الآية : ٢٠ .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾

[هود : ١٥] .

٢- لا يغير الله حتى يغيروا ما بأنفسهم

الرعد : الآية : ١١ - الأنفال : الآية : ٥٣ - ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى

يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ .

- ما هي الأمور التي في الأنفس ؟ الأفكار . . الصور الذهنية . .

العواطف . . النوايا . . وفي سورة فصلت : (٢٢ و ٢٣) نجد نموذجاً لآثار

الصورة الذهنية الخاطئة :

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ

أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٠﴾ .

وكم من الظنون بالله وسننه قد أدخلتنا في متاهات . . وهل دخل المسلمون إلى عالم (السنيّة) أم أنهم ما زالوا يرون الأحداث تجري خبط عشواء بلا نظام ولا ضوابط . . !؟

وربما يظن بعضهم أن القوانين لا تنطبق على المسلمين لأنهم أبناء الله وأحباؤه . .

٣- النتائج في الدنيا جماعية :

أي : أنها تأتي بحسب أعمال الأكثرية . . فإن كانت الأكثرية فاسدة عم الفساد حتى على الصالحين .

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال : ٢٥] .

وأما الأفراد الصالحون فهم بذور التغيير في الأمة ونتائج أعمالهم تحتاج إلى وقت حتى تثمر . . لكنهم بجهودهم قد قدموا لآخرتهم ولن يبخسهم الله حقهم فيها . . فالنتائج هناك فردية . .

٤- النتائج العاجلة والنتائج البعيدة المدى :

وذلك حتى في الدنيا . . فقد يستمتع شارب الخمر في البداية لكنه على المدى الطويل سيصاب جسده بالأمراض ويثقل الإدمان ميزانيته ويهدد استقرار أسرته . . وقد يفقد عمله ويصبح منبوذاً . .

« نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ » .

وتأمل قول السحرة لفرعون بعد أن هددهم : ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفَرَ

لَنَا خَطِيئَتَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿طه : ٧٢-٧٣﴾ فهم يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى في الدنيا والآخرة ﴿إِن هَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان : ٢٧] وهي حال الكافرين والجاهلين بالسنن وسيمر معنا في الفصل القادم أن من سنن الله أنه يمد للظالمين ثم يقعون في شر أعمالهم^(١) ..

٥- نتائج الخطأ والفساد في الدنيا حتمية . .

والتوبة لا تعفي منها . . وإنما التوبة - في الغالب - تحمي من عذاب الآخرة . . وقد نصت على ذلك آيات كثيرة منها :

الروم : الآية : ٤١ - يونس : الآية : ٨١ - النحل : الآية : ٣٤ - آل عمران : الآية : ١٦٥ - الزمر : الآية : ٥١ - غافر : الآية : ٨٥ - الشورى : الآية : ٣٠ .

وحتى إفساد البيئة سرعان ما تطغى نتائجه : ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ * فَآخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الشعراء : ١٥٧-١٥٨] فليست الناقة وحدها التي عقرت بل إنهم يعقرون البيئة الآن ولنتأمل الآية ٤١ من سورة الروم : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ . . فما أعظم رحمة الله بالناس إذ يعطيهم نتائج أعمالهم في الدنيا قبل الآخرة فلعلهم يصححون ويرجعون عن أخطائهم . . فعواقب الأعمال هي الميزان الحقيقي لصلاحها مع الانتباه للعاجلة والبعيدة المدى . . وهنا تظهر قيمة التوبة والاستغفار . . إنها أولاً ليست مجرد كلام بل هي عودة عن الخطأ بعد أن ظهرت نتائجه في الدنيا . . وبذلك تنفع التوبة في التصحيح والحماية من تكرار العواقب الوخيمة في الدنيا . . ثم إنها تحمي من المؤاخذه في الآخرة . . وهو

(١) وهو ما يؤكد اختلاف العاجلة عما هو خير وأبقى .

ما ينبغي الانتباه إليه حين نقرأ الآيات : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح : ١٠-١٢] .

فالعالم الإسلامي الآن يصلي صلاة الاستسقاء ويستغفر ويدعو . . لكنه قد قطع الأشجار ولوث البيئة بآثار الأسلحة الحديثة والكيماويات والتدخين . . فأنى يستجاب له . . !!

إن التوبة والاستغفار تقتضي إصلاح كل هذه المفاصل والقيام بأسباب الخصوبة ونزول الخير .

٦- أهمية تفوق الكيف على الكم :

أي : أن النوعية أهم من الكمية . . المسلمون كثيرون اليوم لكنهم كغناء السيل . . وفي المقابل : ﴿ إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ فلقد كان من حيث الأثر بوزن أمة . . والآيات (٦٥ و ٦٦) من الأنفال تشير إلى نسب يجب الانتباه إليها . . ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَخَفَّ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ . . إن الذي يثقل ميزان الأشخاص أمران : الفقه والصبر . . الفقه هو الفهم والعلم وهو ثمر الصبر . . فمن لا يعرف سنن الله لا يصبر على القيام بالأسباب . . وفي الآيتين نجد نسباً : عشرون صابرون أعظم أثراً من مائتين لا يفقهون . . أي : أنهم أفضل من عشرة أضعافهم . . فإن حصل نقص وضعف في العلم هبطت النسبة إلى ضعف واحد . . وما ينبغي للمسلمين أن ينحدروا أكثر . . ونلاحظ أن الآيات لم تتحدث بشكل فردي . . فلم تقل : أن الواحد يغلب عشرة . . لأن قوة التماسك بين العشرين تضيف تماسكاً إلى قوة الأفراد . . وينبغي للمسلمين أن يدركوا أهمية الأعمال الجماعية لأنها تأتي أكثر علماً وقوة . . وتقود المجتمع إلى التماسك أكثر .

٧- الأرض يرثها الصالحون . . ويمكن أن نقول أصلح الموجود .

الأنبياء : الآية : ١٠٥ - الشعراء : من ٥٧ إلى ٥٩ - الدخان : من ٢٥ إلى

٢٨ - ومن ٣٠ إلى ٣٢ .

ولقد نصت الآية : ١٠٥ من الأنبياء على تلك السنة بصريح العبارة :

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾

وسأتحدث عن ذلك في الفصل التالي .

٨ - لكل أمة أجل :

فكما أن للإنسان دورة حياة وكذلك الأمم . . تولد وتصبح شابة وتهرم ثم

تموت .

الأعراف : الآية : ٣٤ - يونس : الآية : ٤٩ - الحجر : الآية : ٥ -

المؤمنون : الآية : ٤٣ .

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤] .

٩- الابتلاء يجعل الناس طبقات ليخدم بعضهم بعضاً ولتحقيق التكامل في

الحياة :

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا

ءَاتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ . . . ﴾ [الأنعام : ١٦٥] .

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ

بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلَخِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

ولو كان الناس متساوون في المواهب لتعطلت الحياة واختل البناء

الاجتماعي . . فالأمة بحاجة إلى المهندس والعامل البناء . . وبحاجة إلى

المزارع والتاجر والطبيب والخباز و . . . حتى عامل النظافة لا يقل أهمية عن

سبقة . . ولا يمكن للمجتمع أن يبني بدون هذا التنوع . . فكل فرد يسخر موهبته لخدمة الآخرين . . والكل مسخرون لخدمة بعضهم بعضاً . . هذا ما فهمته من قوله تعالى : ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ . . وذلك كله من رحمة الله ﴿وَرَحِمْتُ رَيْكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ . . فما قيمة المال المجموع إن لم تجد الخباز والخياط والبقال وحتى عامل التمديدات الصحية . . ؟! وليس لأحدهم فضل على الآخر فهم في حالة أخذ وعطاء ولا يستغني أحد منهم عن الآخرين . . وإنما يتفاضلون بمقدار إتقانهم لأعمالهم وأدوارهم . . فما أعظم رحمة الله بهذا التنوع في الطبقات . . هذا التنوع في الخلق هو من سنن الله في الحياة الاجتماعية . . والابتلاء به يكشف عن أخلاقنا في احترام الآخر وحسن التعامل معه ولو كان من طبقة أدنى . .

وسأتحدث في الفصل القادم أكثر عن البلاء وسننه وفوائده وكونه ضرورياً لصقل الإنسان وتطوير قدراته وأخلاقه .

* * *

الفصل الرابع

سنن تتعلق بالفرد والمجتمع

فهي تشمل الطرفين . وقد رأيت فرزها في فصل خاص - بعد تردد - وقد يخالفني القارىء فلا بأس .

وسأتحدث في هذا الفصل عن خمسة عناوين :

- ١- آثار الالتزام بالكتاب . ٢- مشكلة الاستكبار والاستضعاف . ٣- شرطان لنجاح الأعمال (من سنن الفلاح) . ٤- البلاء فرصة للمراجعة والتصحيح . ٥- عواقب الدنيا .

الباب الأول : آثار الالتزام بالكتاب

١- الحماية للفرد والأمة

وقد نصت على ذلك آيات كثيرة . . منها :

- البقرة : الآية : ٣٨ - والآية : ٦٣ - هود : الآية : ٥٨ - والآية : ٦٦ -
والآية : ٩٤ - لقمان : الآية : ١٣ - الزمر : ٥٤ و ٥٥ - الذاريات : ٥٠ و ٥١ -
الصف : ١٠ و ١١ - الحاقة : الآية : ٤٨ - قريش : الآية : ٣ .

نتأمل نموذجاً منها الآيات من سورة الصف : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَىٰ
يَحْزَنَ تُنَجِّكُمْ مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ
لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . . . ﴾ وبعد أن تذكر الآيات جزاء الآخرة تعود إلى الدنيا ﴿ وَأُخْرَىٰ
يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللّٰهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١٣] . . هذه العطايا زيادة على الحماية

التي ذكرتها الآيات ﴿تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ . وما ذلك إلا لأن أوامر القرآن جاءت لتحقيق المكاسب للفرد والأمة في الدنيا أولاً . . .

- والآيات التالية تتحدث عن الحماية التي تثمرها الآداب العامة والعبادات المأمور بها في القرآن .

الأعراف : الآية : ٢٦- الإسراء : الآية : ٣٢- مريم : الآية : ٥٩- النور : ٢٧ و ٢٨ النور : ٣٠ و ٣١- والآية : ٦٠- الأحزاب : الآية : ٥٩ .

تأمل الآية ٥٩ من سورة مريم : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ . . حين تنقطع العبادة مع الله . . وتصبح الأولوية في حياة الأمة للشهوات فماذا يرجى منهم . . ؟! بل ماذا يبقى لهم ؟! إن انهيار الأمة يصبح وشيكاً حين تسود الغرائز . . ولقد ذكر لنا في سورة الأعراف أنه امتن علينا بلباس التقوى الذي يقي الفرد والأمة من المهالك : ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ . . إن أوامر الله تسد كل الثغرات في وجه الشر والفساد . . وتسوق الجميع إلى الخير .

٢- الاستمتاع بالتخفيف :

فالدين ليس قيوداً وأثقالاً ترهق الإنسان بل إن محمداً ﷺ قد جاء للناس ﴿وَيُخَذِّلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ . . [الأعراف : ١٥٧] . . بل إن المعرضين عن أمر الله هم المكبلون بالأغلال . . فتأمل الآيات التالية :

آل عمران : الآية : ١٣٢- النساء : الآية : ٢٨- الأنعام : الآية : ١٥٥- الأنبياء : الآية : ١٠٧- النور : الآية : ٦١- الحجرات : الآيتان : ٧ و ١٠- القمر : الآية : ١٧ (وكررت أربع مرات) الطلاق : الآية : ٤- والآية : ٧- الجن : الآية : ١٣- الأعلى : الآية : ٨- الليل : ٧- الشرح : ٥ و ٦ .

فالرحمة بطاعة الله ورسوله وبالإصلاح بين الإخوة وبالتقوى واتباع الكتاب : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٥] . . وفي كثير من الأحيان لا يدرك الإنسان أين هي مصلحته . . وقد يتمنى لو أنه لم يؤمر بأمر معين . . لكن هذا الدين من العليم الحكيم . . ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ * فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ [الحجرات : ٧-٨] .

- وفي سورة القمر يؤكد على الحقيقة ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ ﴾ فيستعرض مصارع بعض الأقوام ليكرر هذه الحقيقة أربع مرات . . فهل من مذكر . . !؟

٣- ثواب في الدنيا :

ونتائج جيدة في الدنيا . فلتأمل الآيات التالية :

النساء : الآية : ٦٦- والآية : ١٣٤- والآية : ١٧٥- هود : الآية : ٨٦ - النحل : الآية : ٩٧- الحج : الآية : ٧٧- الصافات : ١٤٨- مريم : الآية : ٣٦- المؤمنون : الآية : ٧٣- الزخرف : الآية : ٦٤- الملك : الآية : ٢٢ .

بعضها يذكر (الصراط المستقيم) كثرة لطاعة الله ورسوله . . والصراط المستقيم هو أقصر الطرق للوصول إلى الهدف وأيسرها وأقلها كلفة . . ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ * فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿ [النساء : ١٧٥] وبعضها يذكر (الفلاح) كثرة : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج : ٧٧] . . وعلى كل حال فإن الله لا ينهى عن طلب ثواب الدنيا . . ولكن أطلبها من

مصادرها الحقيقية : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٤] عند الله أي عند سننه . . . فالله قد وضع قوانين للحصول على ثواب الدنيا تتناغم مع أوامره في القرآن . . .

٤- الرزق الوفير : وهو جزء من ثواب الدنيا أردت تخصيصه بقسم مستقل لأهميته عند الناس وفي القرآن آيات كثيرة تشير إليه . . منها ما يلي :

المائدة : الآية : ٦٦- الأعراف : الآية : ٩٦- الطلاق : الآية : ٣- الملك : الآية : ١٥- العنكبوت : ١٧- المؤمنون : ٧٢- الجن : الآية : ١٦ .

فالإشارة في هذه الآيات واضحة إلى أن الرزق بالتقوى وبالسعي . . ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك : ١٥] .

وفي الآيات التالية يحث الله المؤمنين على الإنفاق ويعددهم بأن ما ينفقون هو قرض عند الله يسدده لهم أضعافاً مضاعفة . . الحديد : الآية : ١١- التغابن : ١٧- سبأ : الآية : ٣٩ .

- وفي سورة الجمعة يحذر من الخلل في الأولويات . . ما بين الرزق وذكر الله . . (الآيات من ٩ إلى ١١) .

فالأولوية لصلاة الجمعة ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . . ﴿ .

- وفي الآية الثالثة سورة النساء إشارة هامة إلى ضرورة التدبير في صرف المال . . فلاكتفاء بزوج واحدة أفضل كي لا تكثر عيالكم وتفتقروا . . ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَمْلُوكَتٌ أَيْمَنُكُمْ ذَلِكَ ادَّخِرَ لَّا تَعُولُوا ﴾ .

- وفي آيات أخرى يذكر الرزق على أنه ثمرة لمن يتصف بصفات الإيمان كما ورد في : الأنفال : ٤- وفي فاطر : الآيتان : ٢٩ و ٣٠- وفي سورة هود : الآية : ٥٢ يجعله ثمرة للإستغفار .

وفي مواضع أخرى يعرض كيف أدى الكفر بنعم الله إلى الحرمان من الرزق . وأبرز مثال الآية ١١٢ من النحل ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ . . ترى ماذا كانوا يصنعون ؟ !

وكيف يكون الكفر بأنعم الله . . ؟ ! هل يكون بالغفلة عن شكر المنعم ؟ وبوضع النعم في غير مكانها كأن تستعمل في المعاصي وما يؤذي الناس . . ؟ هل سخرُوا قوة الإعلام الرائعة في إضلال الناس وإغوائهم وصدّهم عن الحق والخير . . ؟

هل صنعوا الطغاة بخنوعهم وخضوعهم ولا مبالاتهم . . ؟ هل صنعوا (الإنسان المادي) المسلوخ عن الأديان والقيم والأخلاق . . ؟ لك أن تتأمل الواقع المأساوي الذي غرق به المسلمون . .

أخيراً أشير إلى أهمية دراسة الاقتصاد الإسلامي من خلال القرآن والسنة . . لوضع الركائز والأسس . . وتنظيم المناهج الاقتصادية الربانية للنهوض بالعالم الإسلامي من الهاوية التي يتردى فيها . . كي يبني ذاته ويستثمر خيراته ويشع بالخير على الآخرين . . وقد تصدى لذلك بعض الباحثين الجدد .

وفي ذلك إنقاذ لنا من السفاهة التي تجعل ثرواتنا تذهب لأعدائنا . . بينما تعاني الأمة العوز في كل شيء .

٥- الوصول للسلام باتباع رضوان الله :

وما أعظم النظام الذي يساعد الفرد والأمة على حل مشاكلهم ويغلق منافذ الشر ويحبط سبل الشيطان . . إنه بذلك يمنح الأمة مظلة الأمن والسلام . . فلتأمل ما يلي :

المائدة : الآية : ١٦ - والآية : ٩٧ ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَفَّكَةَ أَبَيْتًا لِّلْحَرَامِ قِيَمًا

لِلنَّاسِ وَالشَّهَرِ الْحَرَامِ وَالْهَدَى وَالْقَلِيدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ لقد فرض الله على الناس كلهم سلاماً إجبارياً عند البيت الحرام وعند الأشهر الحرم وفي التعامل مع المحرمين الذين يقصدون البيت الحرام للعبادة في أي زمان كان . . ليتعلم الناس أن الحياة لا تقوم لها قائمة إلا بالسلام وفرض الأمان . . احتراماً لدم الإنسان وكرامته .

ونتأمل ما ذكرت الآية ٨٢ من الأنعام ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ وأكثر ما يخرب السلام ويعاكسه هو ممارسة الظلم فتفقد الحياة الإنسانية توازنها . . وقد وعد الله ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ . لأنهم يسعون لمنع الظلم في الأرض ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور : ٥٥] . . إن القيام بأوامر هذا الدين يمنح الأمة الخلافة والتمكين والأمن من كل خوف .

وعلى صعيد المعاملات بين أفراد الأمة . . فإن الله يعطي العلاج الذي يثمر السلام عند الخصومة كما جاء في الآيات التالية : الرعد : الآية : ٢٢ - المؤمنون : الآية : ٩٦ - فصلت : الآية : ٣٤ .

﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ بل إن الله ينهي عن الاستفزاز ويعلم المؤمن أن يحترم حرية الآخر في اختيار مقدساته . . ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا يَكُلُّ أُمَّةٌ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] وفي ذلك منع للمهاترات والحروب الدينية وإحياء لروح الحرية والاحترام بين الجميع .

وتأمل كم تدعم الآيات الصبر والمغفرة والكلم الطيب لإشاعة السلام : فاطر : الآية : ١٠ - الشورى : ٤٣ . بل إن الله يمنح السلام النفسي للإنسان

بوعده بالمغفرة.. . بحيث يتقبل الإنسان نفسه على أنه بشر يخطيء ويعود إلى ربه فيتحرر من التآثم وجلد الذات.. . انظر مثلاً : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤] .

هذا الموضوع يدعم ما سبق أن تحدثت عنه في الباب الأول من الفصل الثاني تحت عنوان : (هذا الكتاب يصنع خير أمة ويحميها).. . وفي الحقيقة إن سنن القرآن متشابكة يدعم بعضها بعضاً.. . وإنما أفرزها لتسهيل الرؤية والدراسة .

* * *

الباب الثاني : مشكلة الاستكبار والاستضعاف

وهي مشكلة العالم قديماً وحديثاً.. وقد نزلت الرسالات السماوية ولإنهائها..

وجوهر المشكلة : الخلل بالتوحيد.. فالمستكبر يطغى ويطلب من الناس أن يخضعوا له وليس لله .

والمستضعف ينسى ربه ويخضع للمستكبر ويذل له.. والآيات تدور حول المحاور التالية :

١- المستكبرون يُذِلُّون الناس ويشيرون الفرقة .

٢- الاستضعاف هو السبب .

٣- إسقاط المستكبر بعدم طاعته .

٤- يرث المؤمنون الأرض.. وسنة استبدال الأمم .

١- المستكبرون يذلون الناس ويشيرون الفرقة بينهم

الإسراء : الآيتان : ٥ و ٧- النمل : الآية : ٣٤- القصص : الآية : ٤..

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ إن فرعون بطغيانه جعل الناس طائفتين - طائفة تمثل أنصار فرعون يأتمرون بأمره ويضطهدون الضعفاء.. يقتلون الصبيان ويبقون على النساء أحياء للخدمة..

وفي كل عصر يسعى الفراعنة للإيقاع بين الناس وفق خطة (فَرَّقْ تَسُدْ)..

وقد زرعوا في أوصالنا (الطائفية) والتعصب كل لشيعته .

٢- الاستضعاف هو السبب :

يس : الآيتان : ٧٤ و ٧٥- ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ * لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْحَضُونَ ﴿ .. مريم : الآيتان : ٨١ و ٨٢- الزخرف : الآية : ٥٤- ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴾ .
فالمشكلة في أصولها كامنة في الناس وقابليتهم للخضوع ..

٣- إسقاط المستكبر بعدم طاعته :

وقد مارس سحرة فرعون لما آمنوا هذا الإسلوب وصبروا على الفتنة والعذاب إلى أن أهلك الله فرعون وجنوده .. فلتأمل الآيات : ١٢٦ و ١٢٧- ١٣٦ من سورة الأعراف .

والآيات : ٧٣ و ٧٨ من سورة طه : والآيات : ٤٤- ٤٥ من سورة غافر .

وأما سورة العلق فقد نصت بصريح العبارة على منهج العلاج لهذا المرض : في الآية : ١٩ .

﴿ كَلَّا لَا نُطِيعُكَ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ . فلئن توقف الناس عن طاعة الطاغية ..

فماذا يبقى له ؟!

صحيح أنه سيمارس القتل والتنكيل بالمتمردين في البداية .. لكن بمزيد من الصبر والثبات لابد أن يسقط المستكبر .. والتاريخ يشهد بصحة هذه الخطة . ولن يرتقي المستضعف إلى هذا المستوى حتى يتشرب توحيد الله الخالق الحاكم المهيمن الذي بيده وحده النفع والضرر كما قال إبراهيم : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ .. ﴾ [الشعراء : ٧٨- ٨٢] .

وحتى يؤمن بأنه سيُمتحن وعليه أن يصبر حتى ينقذ روحه في الدنيا والآخرة .. وأنه حتى لو مات فسيكون سبباً في تحرير من يأتي بعده .. وأن الطاغية لا بد أن يسقط ﴿ لَنُكَلِّمَنَّكَ الْفَاطِمِينَ ﴾ [إبراهيم : ١٣] .

٤- يرث المؤمنون الأرض :

وتستبدل الأمة بأفضل منها :

وقد سبق أن تحدثت عند (سنن الدنيا) من الفصل السابق عن قانون وارثة الأرض : ﴿ أَتِ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] - ونزيد الأمر هنا تأكيداً . . فإن المستضعفين بعد أن يخرجوا من عبادة الطاغوت ويتفاعلوا مع توحيد الله ويصبروا على الأذى . . يمن الله عليهم . . فلتأمل الآيات التالية : الأعراف : ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٧ ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمُغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ . . وتأمل باقي الآيات : إبراهيم : ١٤ - النحل : ٤١ - الكهف : ٨٤ و ٨٥ - الحج : ٤١ - النور : ٥٥ - القصص : ٥ و ٦ - الزمر : ٧٤ ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ . . ﴾ .

- ويتحدث القرآن منذراً المؤمنين من التخاذل والتردي فإن الله يستبدل الأمة بأفضل منها وهي سنة لارتقاء الحياة . . واستمرار التقدم الإنساني . . فالتاريخ يمشي نحو الأفضل باستمرار . .

يونس : ١٤ - هود : ٥٧ - الأنبياء : ١١ - محمد : ٣٨ حيث يخاطب المسلمين مباشرة : ﴿ هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ .

* * *

الباب الثالث : شرطان لنجاح الأعمال (من سنن الفلاح)

وهذا موضوع أفرده الأستاذ جودت سعيد بكتاب قيم : العمل : قدرة وإرادة .
ومصطلحاته وردت في القرآن : الإخلاص : هو الإرادة وهو الإيمان ومن
أوصافه الحفيظ - الأمين (المخلص) والصواب : هو القدرة - والعلم - والقوة
- والسداد - والرشاد .

والقاعدة التي تتحدث عنها الآيات أن العمل حتى يقبل في الآخرة وينجح
في الدنيا يجب أن يتوفر فيه الإخلاص والصواب ذكر ذلك في الآيات التالية :
البقرة : ١١٢ - الكهف : ١١٠ - طه : ١١٢ - الأنبياء : ٩٠ - يوسف : ٥٥ -
القصص : ٢٦ - الأحزاب : ٧٠ و ٧١ - المجادلة : ١١ ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ . وتأمل الآية ٢٦ من القصص :
﴿ يَتَأْتَى آسْتَجِرُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ إذ لا ينفع وصف بدون
الآخر . . . والآيات في هذا المجال تدور حول خمسة محاور :

١- الإخلاص (الإرادة) . ٢- الصواب (العلم) . ٣- الدخول الفني
للمشكلات . ٤- القيام بالأسباب . ٥- ما ينفع الناس يمكث في الأرض .
وفي النهاية يتم النور ويظهر الحق .

١- الإخلاص (الإرادة) :

وهي من امتيازات الإنسان فهو قادر على الاختيار والإخلاص لما يختار .
فلتأمل الآيات التالية : التوبة : ٤٦ - النساء : ٣٥ - الإسراء : ١٨ و ١٩ -
الشورى : ٢٠ .

خذ مثلاً ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ [التوبة : ٤٦] .

- الإرادة هي الدينامو المحرك للإنسان . . فإن وجدت عنده اجتهد في البحث عن الطرق والوسائل لتحقيق ما يريد . . وقد تكون الإمكانيات والوسائل كلها متوفرة لكن فقدان الإرادة يبقيها معطلة . . ولا بد من ملاحظة أن فاقد الإرادة مؤاخذ وقد يكون كافراً أو منافقاً إن تظاهر بالإيمان ولم يتحرك . . وقد كشفت سورة التوبة عن نوعين في الأمة - غير المؤمن القادر - نوع يدعي الإيمان لكن لا يتحرك لنصرة الدين رغم اقتداره . . ونوع مخلص يتمنى الجهاد ولكن لا يملك القدرة عليه فهو يبكي ﴿ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ [التوبة : ٩٢] وهذا الصنف مأجور لأنه يملك الإرادة ولا يملك القدرة .

٢- الصواب :

القدرة - أو العلم - وقد ورد في العهد القديم : (أنا الفهم لي القدرة) .
فلنتأمل الآيات التالية :

البقرة : ٢٦٩ (الحكمة) - التوبة : ٩٧ (فقدان العلم) - التوبة : ١٢٢
(استنفار لطلب العلم) الكهف : ١٠٤ - الأنبياء : ٢٤ - النمل : ٤٠ - و٩٣ -
فصلت : ٢٣ و٥٣ - الجمعة : ٢ . خذ مثلاً .

- ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩٧] إن الجهل هو سبب الإعراض « بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » وسبب الفشل والإفساد في الأرض ولذلك يأتي الاستنفار العجيب : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ ﴾ [التوبة : ١٢٢] إن الجاهل بسنن الله سوف يصطدم بها ويفسد أكثر مما يصلح - ولو كان مخلصاً - ولا يحذر الأخطار إلا من يعرف . .

- ويسجل القرآن بعض العوائق في طريق الصواب والعلم :

١- الإنسياق وراء العواطف .. تأمل الآية : ١٩ من النساء : ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .. وكم حذرنا القرآن من القرارات العاطفية لأنها تضع الأهداف والتربية القرآنية تمنح المؤمن الانضباط العاطفي .. تأمل التحذير في الآية : ٢٣ من الحديد : ﴿ لَكَيْلًا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ..

٢- التسرع في الحكم والقول بغير علم : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ الحجرات : ٦- ﴿ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَكُنْتُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ فَتَبَيَّنُوا ﴾ النساء : ٩٤- ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ النور : ١٥ .. فلقد منحك الله وسائل العلم فلماذا أهملتها .. ؟! ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ الإسراء : ٣٦ إن هذا التسرع بدون تفكير قد يؤدي إلى عواقب اجتماعية ونفسية وخيمة .

٣- الآبائية : وهي تعوق التوحيد والحضارة .. لأن الوقوف عند أفكار الآباء يعوق كل تقدم . تأمل في الآيات التالية البقرة : ١٧٠- الشعراء : ٧٢ إلى ٧٤- الصافات : ٦٩ و ٧٠- الزخرف : ٢٢ إلى ٢٤ التي تقول : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ .. قال : أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون « والناس تشك في كل فكر جديد وتعادية .. كل الكشوف والاختراعات قاومها الناس في البداية وتشككوا في جدواها .. لأن تراث الآباء متعمق ومتجذر في النفوس .. لكن الآبائية تنقلص ويضمحل أثرها ..

٣- الدخول الفني لحل المشكلات :

أي دراسة المشكلة لمعرفة أبواب الدخول إلى حلها . انظر مثلاً قول الله في الآية ١٨٩ من سورة البقرة : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون » والآيات تفهم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . . وبهذا نجد الآية تحت على الدخول إلى الأمور من أبوابها . . وهذا يقتضي كشف مفاتيحها وشروط الفلاح في استيعابها وإيجاد الحلول لها . . ألم نتأمل مراراً الحل الإبداعي الذي أرشدنا الله إليه عند الخصومات ؟! « ادفع بالتي هي أحسن » إنه المفتاح لإنهاء الخصام بل وإنهاء العداوة والكراهية . .

- كذلك تطلب منا الآية ٦٧ من سورة يوسف ﴿ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ أن نبحث عن طرق متعددة وربما جديدة للوصول إلى الأهداف . . إنه الحث القرآني المستمر على التفكير والإبداع .

٤- القيام بالأسباب :

ومن الطبيعي أن يأتي العمل بعد الإخلاص والوصول إلى الصواب . . وبعد أن عرفت الطريق فالزمه ولو كنت وحدك . . ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا . . ﴾ [الفتح : ٢٦] .

فقد كشفوا أن نقض العهود خسارة : البقرة : ٢٧- والرعد : ٢٥- وأن انهيار الأمة يبدأ من الأخلاق .

- إن الذين ملكوا الإرادة والقدرة أولئك الذين ملكوا التمكين الإلهي ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا ﴾ [الكهف : ٨٤-٨٥] . . وانظر إلى الإنسان الذي حمل رسالة العدل وكشف الصراط المستقيم الذي يوصله إلى

أداء دوره.. هل يستوي هو والآخر.. ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ؟! [النحل : ٧٦] . وحتى مريم وهي في حالة مخاض يأمرها ربها بالقيام بالأسباب : ﴿ وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ بِجَنِّعِ النَّخْلَةِ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم : ٢٥] .

- ولأن البيئة لها أثر كبير في صناعة الإنسان وصلاحه كما تقرر الآية : ٥٨ من الأعراف : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًّا ﴾ . . فإن الله يأمر بإصلاح الأرض وعدم إفسادها مادياً وفكرياً . . ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] وكذلك في سورة هود : ٨٥ . . ولقد كانت ملكة سبأ - رغم رجاحة عقلها كما توحى الآيات - متأثرة بدين قومها وثقافتهم إذ يعبدون الشمس ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ [النمل : ٢٤] ونوح كان يتوقع لقومه ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً ﴾ [نوح : ٢٧] فدعا عليهم .

وإن من دأب الظالمين أن يفسدوا كل شيء ويهلكوا الحرث والنسل ويقلبوا الموازين فيصبح (القصر المشيد) أهم من الآبار التي هي مصادر للحياة ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِئُ مُعْطَلَتِهَا وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [الحج : ٤٥] .

٥- ما ينفع الناس يمكث في الأرض :

وهي بشارة لنا بأنه سيتم النور ويظهر الحق في النهاية .

إن التاريخ يمضي صاعداً للأفضل . . وكل الأفكار والأعمال والوسائل والمخترعات . . تغربل باستمرار فيطوى ما لا نفع فيه لأكثر الناس ويأتي الأنفع

فيمكنك ويبقى في الحياة . . ونحن نشهد باستمرار في عالم الوسائل كيف تنسخ
الوسائل الأكثر نفعاً ما قبلها . . فما أعظم هذا التفاؤل الذي تبثه الآيات في
قلوبنا . . فلنمض مع الآيات : التوبة : ٣٢ و ٣٣- يونس : ٨٢ - الرعد : ١٧ -
الأنفال : ٧ و ٨ - الإسراء : ٨١ - سبأ : ٤٨ و ٤٩ - فاطر : ١٠ - الشورى : ٢٤ -
الفتح : ٢٨ - الصف : ٨ و ٩ - النصر .

- يضرب الله لنا مثلاً في سورة الرعد عن انتفاش الباطل وغروره . . بالسيل
الطاغي الذي يعلوه الزبد ﴿ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ
أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ مَثَلٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ
فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ . . ﴾ (١٧) .

والنفعية مقياس وميزان لكل ما يستجد من الأفكار والأشياء والأساليب . .
وبمنطق النفعية خاطب إبراهيم قومه عن الأصنام « هل ينفعونكم أو
يضررون » . . لكن النفعية القرآنية تختلف عن (الذرائعية أو البراجماتية) . . من
حيث أنها نفع لأكثر الناس ولأطول مدة ممكنة . . ومع التقدم في المعرفة
سيكشف الناس ضرر الباطل وعظمة الحق ويتحقق وعد الله ﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ
كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف : ٨ - ٩] ولئن عرف الناس أن الإسلام يحقق لهم الأنفع في
حياتهم لدخلوا في دين الله أفواجاً . . وهو العصر الذي تبشر به سورة النصر فقد
وعد الله به وبشر النبي بأحاديث عدة بمجيئه وانتشار الإسلام في مشارق الأرض
ومغاربها .

* * *

الباب الرابع : البلاء فرصة للمراجعة والتصحيح

المحنة إن لم تقض عليك زادتك قوة.. . والبلاء امتحان لإيمان الإنسان وثباته وجدارته بتكريم الله.. .

والآيات في هذا المجال تدور حول أربعة محاور : ١- امتحان لصدق الإيمان . ٢- فرصة لكشف الخطأ والتصحيح . ٣- تطوير قدرات الإنسان . ٤- الصبر قوة متغلبة .

١- امتحان لصدق الإيمان :

وأكثر آيات البلاء والفتنة هي من هذا النوع فلتأمل ما يلي :

آل عمران : الآية : ١٤٠- والآية : ١٥٤- الأعراف : ١٢٩- التوبة : ١٢٦- طه : ١٣١- الأنبياء : ٣٥- والآية : ١١١- الحج : الآية : ١١- المؤمنون : ٣٠- النمل : ٤٠- العنكبوت : الآية : ٢- والأحزاب : ١٠ و ١١- الزمر : ٤٩- محمد : ٣١- التغابن : ١٥- الجن : ١٦ و ١٧- الفجر : ١٥ و ١٦ .

- ولنتأمل افتتاح سورة العنكبوت : ﴿الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ .. . والله يعلم الغيب والشهادة.. . وعلمه كامل بكل أحوالنا لأنه رب السماوات والأرض وهو أعلم بمن خلق.. . لكن لا يحاسب الناس بحسب علمه بالغيب وإنما بما قاموا به في علم الشهادة.. . تحقيقاً لتمام العدل ولإقامة الحجة على الناس.. .

٢- فرصة لكشف الخطأ وتصحيحه :

وعندها يصبح البلاء رحمة . . وليس ذلك إلا للمؤمن الذي يقرب النظر في العواقب ويعتبر . . وكثيراً ما تكشف الأيام أن البلاء كان فيه خير كثير . . لما فيه من تعلم وتصويب . . نتأمل ما يلي :

الأعراف : ١٦٨ - الإسراء : ٧ و ٨ - النور : ١١ - الروم : ٤١ - القلم :

١٧ .

ففي الآية ٤١ من سورة الروم بيان جميل لهذا المغزى : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إن رؤية عواقب الأعمال هي أكبر معلم وبها تحدث التوبة ورحمة التصحيح .

٣- البلاء فيه تطوير للقدرات :

ويكسبك خبرات ومهارات - وعندها تتحول المحنة إلى منحة . . نتأمل الآيات :

البقرة : ١٥٥ و ١٥٦ - آل عمران : ١٤١ - المائدة : ٤٨ - الأنفال : ١٧ -

الكهف : ٧ - الدخان : ٣٣ - الملك : ٢ .

ويتجلى ذلك بقوة في الآية ١١ من سورة البلد : ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ . . العقبات تبني الفرد والأمة . . وكما تحدث مالك بن نبي : إن العقبات مؤشر جيد في حياة الأمة . . لأنها تتحدى قوى الفرد والأمة . . ويحدث التغيير والتطوير عند إعمال الذكاء للتغلب على العقبة . . حتى أن المؤرخ توينبي يعتبر التحديات محركات للنهضة وبناء الحضارة . . وكم من الشعوب بقيت خاملة لأنها منعمة مكفية الحاجات .

ومواجهة العقبات وتحمل مشقة التغلب عليها يمنح الإنسان الصبر الإيجابي

البناء وهو المحور الرابع :

٤- الصبر قوة متغلبة :

وهو ما تؤكد عليه الآيات التالية :

البقرة : ٢٤٩- آل عمران : ١٢٠ و ١٨٦- النساء : ٢٥- الأنعام : ٣٤-
هود : ١١٥- النحل : ١٢٦ و ١٢٧- القصص : ٨٠- الروم : ٦٠- غافر : ٧٧-
فصلت : ٣٥- الطور : ٤٨ .

فلنتأمل الآية التي جمعت بين البلاء والصبر ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا
أَذْمًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٦] .

وكيف أصبح بناء الإنسان بالصبر على البلاء والتقوى ليكون من أولي
العزم . . إنه إنسان النهضة القوي المتماسك الذي لا تحطمه الصعوبات
والعقبات . . بل هو يقع عليها فيفتتها . .

- كذلك في العلاقات مع المعتدي ﴿ وَإِن عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ
وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ * وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ فلو لا اليقين بما
عند الله لما استطعنا الصبر . . لكن العليم الحكيم يقول أن الصبر خير من أن
تعاقب . . ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ فكل إنسان قد اختار مصيره ﴿ وَلَا تَلُكْ فِي ضَيْقٍ
مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ فلن يضروك وإنما يمكرون بأنفسهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا
وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] .

المحسنون لا يندمون على صبرهم وسماحتهم . . المحسنون سعداء
بنصيبتهم من الله (المعية) .

* * *

الباب الخامس : العواقب

والحديث مستفيض في القرآن عن العواقب . . والفرد والأمة لا بد لهما من التدبر في النتائج والعواقب . . فكل عاقل يهتم بمآل الأمور . . ويريد لنفسه السلامة من النتائج الوخيمة . . والحديث في هذا المجال يدور حول أربعة محاور :

- ١- العواقب للأعمال وليس للأمانى . ٢- عواقب الأعمال هي الحَكَم .
- ٣- لا تغتر بالعاجلة . ٤- عواقب الأمم السابقة تهدي للسنن .

١- العواقب للأعمال وليس للأمانى .

وقد وردت في ذلك آيات كثيرة منها :

- البقرة : الآية : ١٣٤- والآية : ١٤١- آل عمران : الآية : ١٥٥- والآية : ١٨٢- النساء : الآية : ١٢٣- الأنعام : ٧٠- الرعد : ٣١- النحل : ٩٧- طه : ٤٨- والحج : ٤١- النمل : ١٤- القصص : ٣٧- و٤٠- و٨٣- الروم : ١٠- الزمر : ٥١- الزخرف : ٢٥- الأحقاف : ١٩- المزمل : ٢٠- الانشقاق : ٦- الزلزلة : ٧ و٨ .

- انظر مثلاً : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء : ١٢٣] . . وقوله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل : ٩٧] يختار الله أحسن الأعمال ليجازي عليها فما أعظم حلمه وكرمه . . واللافت للنظر أن الآية تتحدث عن الفرد المؤمن

وتعده ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ فهو وعد بحياة طيبة في الدنيا . . وكما سبق أن ذكرنا عند سنن الحصول على الدنيا . . أن النتائج في الدنيا جماعية وليست فردية . . لكن الحياة الطيبة هي أعظم من الحصول على الدنيا . . إن سعادة الصلة مع الله لا تدانيها سعادة . . والإحساس بنعمة الهدف السامي والأناقة الفكرية والأخلاقية يمنح النفس نوعاً من الرضى . . يجعل الحياة طيبة للمؤمن مهما أحاطته الصعوبات .

٢- عواقب الأعمال هي الحكم :

وهي الميزان الدقيق الذي يشير إلى الأعمال الجيدة أو الفاسدة مع مراعاة : أن النتائج تأتي بحسب الأكثرية - وأهمية التمييز بين العواقب العاجلة والأخرى الآجلة . . فلنتبع الآيات التالية : يونس : الآية : ٧٣ - و٩٦ و٩٧ - هود : ١٢١ و١٢٢ - مريم : ٧٤ - طه : ١٣٥ - الشعراء : ٢٠١ - هود : ٩٣ - السجدة : ٣٠ - ص : ٨٨ - الزمر : ٣٩ و٤٠ - الشورى : ١٥ - الدخان : ٥٩ - الطور : ٣١ - النجم : ٤٠ و٤١ - الرحمن : ٦٠ - القلم : ٥ و٦ .

- ومن الناس من لا يصدق حتى يرى العاقبة كما تقول الآيات ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس : ٩٦-٩٧] .

وقد أمر النبي ﷺ أن يتحدى قومه بالعواقب : ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ * وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ [هود : ١٢١-١٢٢] . . إنه تحد مليء بالثقة بسنن الله وبمنتهى الدقة العلمية . . مقابل مطالبة المشركين بالمعجزات الحسية . . فالعقل في القرآن وقوانين الله في الحياة هي المعجزات في الإسلام .

٣- لا تَغْتَرَّ بالعاجلة :

فالله يملي للظالم ويمهله فإذا أخذه لم يفله . . والآيات كثيرة منها : آل عمران : ١٧٨ - و١٩٦ و١٩٧ - الأنعام : ٤٤ - الأعراف : ١٨٢ و١٨٣ -

الرعد : ٣٢ - مريم : ٧٥ و ٧٩ - الحج : ٤٤ و ٤٨ - الشعراء : ٢٠٥ إلى ٢٠٧ -
الذاريات : ٥٩ - القلم : ٤٤ و ٤٥ - الطارق : ١٥ إلى ١٧ .

كذلك تأتي آيات تنص على أن العبرة بما هو خير وأبقى . . انظر مثلاً :

الكهف : ٤٦ - مريم : ٧٦ - طه : ٧٣ ، ١٣١ - القصص : ٦٠ -
الشورى : ٣٦ - الحديد : ٢٠ - الجمعة : ٩ و ١١ .

- وذلك أن النتائج الحقيقية تحتاج إلى وقت كي تنضج وتظهر ولهذا يقولون
(من يضحك أخيراً يضحك كثيراً) ولنتأمل آيات سورة الجمعة ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ ابتداء لا بد من تمحيص
المركزية بأن تكون لله . . وإن ذلك لن يحرمك من رزق الدنيا . . بل أنت مأمور
بالسعي إليه بعد أداء العبادة . . دون أن يفتر قلبك ولسانك عن ذكر الله . . فإن
ذلك يبارك لك في الرزق وهو الخير والأبقى (الذكر) .

- وتأمل قصة موسى في سورة القصص وكيف يظهر الفارق بوضوح بين
العاجلة وما هو خير وأبقى . . موسى يُلقى في اليم تتقاذفه الأمواج . . بينما
يقول الله لأمه : ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . .
موسى ينجو من اليم ويصبح رسولاً . . بينما يأخذ فرعون وجنوده . .
(القصص من ٧ إلى ٤٠) .

٤- عواقب الأمم السابقة تهدي للسنن . .

ولعله لا تكاد تخلو سورة من القرآن من الإشارة إلى ذلك . . وقد أحصيت
في هذا المجال الآيات التالية :

البقرة : ٦٦ - آل عمران : ١٣ و ١٣٧ - النساء : ٢٦ - الأنعام : ٦ و ١١ -
الأعراف : ٤ و ٨٤ و ٨٦ و ١٠٣ - الرعد : ٤٢ - يونس : ١٣ و ٣٩ و ٧٣ -
يوسف : ١٠٩ - الحجر : ١٣ ، ٧٥ ، ٧٧ - النحل : ٣٦ - طه : ١٢٨ -
الأنبياء : ١١ - النور : ٣٤ - الفرقان : ٣٧ و ٣٨ - الحج : ٤٥ و ٤٦ -
المؤمنون : ٣٠ - ٤٤ - الشعراء : ٦٧ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
مكررة سبع مرات بعد إهلاك كل أمة .

النمل : ٥١ و ٥٢ و ٦٩ - القصص : ٤٣ - ٥٨ - ٧٨ - الروم : ٩ - ٤٢ -
السجدة : ٢٦ - سبأ : ١٩ - فاطر : ٤٤ - يس : ٣١ - العنكبوت : ٣٥ -
الصافات : ٧٣ - غافر : ٢١ - ٨٢ - فصلت : ٢٥ - الزخرف : ٥٦ - الدخان :
٣٧ - الأحقاف : ١٨ و ٢٧ - محمد : ١٠ - ١٣ - ق : ٣٦ - الذاريات : ٣٧ -
القمر : ٤ - ١٥ ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ مكررة ست مرات وهي الآية ١٦ -
٣٣ - ٣٤ - ٥١ سبأ : ٤٥ - التغابن : ٥ و ٦ - الحشر : ٢ و ١٥ - الطلاق : ٨ و ٩ -
المرسلات : ١٦ إلى ١٨ - الملك : ١٨ - الحاقة : ١٢ و ٤٨ - المزمل : ١٩ -
النازعات : ٢٦ - الفجر : ١٣ - الفيل : ١ و ٢

- وصدق الله الذي قال ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا
يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف : ١١١] .

إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا بدراسة التاريخ ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴾ [الروم : ٤٢] فالتاريخ جعله الله لنا
أعظم معلم . . فيه ظهرت العواقب بشكل جلي . . فهو العلم التجريبي . . وهو
مختبر العلوم الإنسانية . . جرت فيه التجارب الإنسانية وانكشفت به سنن الحياة
وقوانينها لمن فتح عينيه وعقل الأحداث ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ
أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] وما أحوج الدعاة إلى الله للاستفادة من دروس

التاريخ لتخطيط طريق النهضة للمسلمين .

أخيراً أشير إلى استثناء وحيد ذكره القرآن عن نتائج الدنيا ورد في سورة الأعراف حين حدثنا عن القرية التي كانت حاضرة البحر حين اعتدوا بالصيد يوم السبت (من ١٦٣ إلى ١٦٦) . . وكيف قام فريق منهم باستنكار هذا العمل ووعظوا قومهم . . فلم يرتدعوا . . فيحكم الله بنجاة الذين كانوا يnehون عن السوء ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ . . . ﴾ فكيف نجا هؤلاء مع علمنا بأن نتائج الدنيا تأتي بحسب أعمال الأكثرية ؟!

لعل العصاة لم يكونوا هم الأكثرية . . ولعل العقوبة تأتي لمن يمارس الذنب نفسه أحياناً . . كالذين يشربون الخمر في أمة من الناس . . فيأتي المرض للشاربين فقط . . فبعض الذنوب لا تعم نتائجها على الجميع . . بينما هناك ذنوب لها بعد اجتماعي . . مثل كتمان الحق . . والجهر بالفواحش . . والانحلال الأخلاقي . . فهي كالأوبئة تسبب العدوى . . وتعم نتائجها على الجميع .

وحادثة القرية التي اعتدى بعض أهلها بالصيد يوم السبت كأنها من نوع الذنوب التي ليس لها بعد اجتماعي . . ولهذا نجا الذين كانوا يnehون عن السوء . . والله أعلم .

* * *

الفصل الخامس

استنتاجات

١- أبدأ بتأمل أعداد آيات السنن في أجزاء القرآن وسوره . فقد لاحظت

ما يلي :

- جاء جزء عم في الصدارة فقد نص على تسع وخمسين (٥٩) من آيات

السنن . . (وهو جزء الصغار والكبار) .

- وجاء بعده جزء (قد سمع) الذي نص على ست وخمسين من آيات

السنن . وهو الجزء الذي تحدث عن شؤون الأسرة والمرأة في أكثر سوره . . .

- وجاء في المرتبة الثالثة جزء (الأحقاف) الذي نص على واحد وخمسين

من آيات السنن (٥١) وسورة محمد فيه وقد نصت وحدها على ثمان عشرة

(١٨) من آيات السنن ولا تشغل سوى أربع صفحات .

- وفي المرتبة الرابعة يأتي جزء تبارك الذي نص على أربع وأربعين آية

(٤٤) من السنن .

- أما سورة البقرة وآياتها (٢٨٦) آية وتشغل أكثر من جزئين من القرآن فقد

نصت على أربع وستين آية من آيات السنن . . لكن يمكن أن يضاف إلى ذلك

الحديث الطويل فيها عن بني إسرائيل وما وقعوا فيه من أخطاء وما حصلوا من

نتائج في ثلاث وثمانين آية (٨٣) ويمكن استخلاص سنن كثيرة منها .

- ونلاحظ أن سورة الأنفال وعدد آياتها (٧٥) قد نصت على (٣١) آية

من آيات السنن (قريبا من النصف) .

- وتأتي بعدها سورة التوبة وعدد آياتها (١٢٩) وقد نصت على (٤١) آية من السنن أي ثلثها تقريباً .

- أي أن كون السورة مكية أو مدنية لا يؤثر في تعداد آيات السنن فيها . .
وإنما مواضع السور تستتبع ذلك .

٢- وبعد استعراض آيات الاستخلاف وسننه دهشت . . إذ لم أكن أتصور أن أجد في القرآن هذا الحديث المستفيض عن ذلك . . حتى يبدو وكأنه كتاب نزل لوضع خارطة طريق للإنسان كي يحقق أحلامه بحياة أصلح وأفضل على ظهر الأرض . . مستشهداً بحياة الأمم السابقة التي تاهت عن معالم الطريق وذاقت مرارة عواقب الدنيا . . ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرِيْبَةٍ عَنَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَهَا عَذَابًا نَّكَرًا ﴾ ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُشْرًا ﴾ [الطلاق : ٨ - ٩] .

ولئن كلف الإنسان بأخطر دور في الحياة على الأرض . . فلقد قُدِّمت له التسهيلات المناسبة وأعين بإطلاعه على سنن الحياة ومفاتيح الدخول إلى الحياة الطيبة بحيث يكون مصلحاً ومعمراً في الأرض فكيف لم ننتبه إلى ذلك ؟! وكيف تأخرنا عن الانكباب على هذه العلوم الإنسانية ؟!

٣- وتكشف الآيات عن التناغم العجيب بين العبادات وأحكام الإسلام مع سنن إصلاح الأرض والحياة . . وقد أخبرنا الله أن التقدم في كشف آيات الآفاق والأنفس سيشهد للقرآن بأنه الحق ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت : ٥٣] . والله العليم الحكيم خالق الإنسان والكون وهو أعلم بما يصلح لخلقه . . وحتى الرافضين لدين الله لا يملكون الخروج على سنن الله ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٣] فما أضيع الإنسان حين يكابر ويمعن في رفض الدين وهو منساق ضمن مساره دون أن يدري وستأتي اللحظة التي يكشف فيها كم فرط بحق نفسه . . ولكن بعد فوات

الأوان.. ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١٠] .

وأما الذين ولدوا على الإسلام ولم يدرسوا آياته وسننه في القرآن فهم يخطئون خبط عشوان في هذه الحياة وهم في غاية العجب.. كيف لا يستجيب الله لدعائهم ولا يمنحهم القيادة والريادة للناس..؟! بل إنهم - مع بالغ الحزن والأسف - مسخرون لأغراض الكافرين الذين برعوا في الدراسة والتخطيط..

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ [الكهف : ١٠٣-١٠٤] .

٤- وقد لاحظنا كم أكد الله ثبات سننه وقوانينه « ولن تجد لسنة الله تحويلاً ولن تجد لسنة الله تبديلاً » فالماكرون لا بد أن يسقطوا.. والظالمين لا بد أن يهلكوا.. والعاقبة للمتقين.. لكننا مستعجلون.. ولا نرى أبعد من أنوفنا.. ولا نسعى لجعل أنفسنا في زمرة (المتقين) حتى ننجو في الدنيا والآخرة.. ولئن لم نتعلم سنن الله.. وتخاذلنا عن القيام بالأسباب.. فسنخسر إيماننا ونقع في ظلمات الشك والتكذيب أمام الواقع المرير الذي يحيط بنا.. فهل من مذكر...؟!

٥- ونحن على أعتاب عصر جديد يظهر فيه جيل جديد يعود إلى آيات الله المقروءة والمنظورة في الكتاب وفي الآفاق والأنفس (الواقع) - يكشفها ويتشربها في عقله وتملاً عليه جوارحه.. ليشرق فجر للإنسانية جديد تمحي فيه ظلمات الجهل والكفر.. وتطوى فيه أمراض الاستضعاف والاستكبار ويتبدى للخلق كلهم روعة هذا الإنسان الخليفة الذي خرج على ظن الملائكة وأثبت علم الله فيه حين كرمه وأسجد له ملائكته... ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُوهِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] فلنواجه الأمور بالتفاؤل لأننا موعودون بانتشار الإسلام .

٦- ومع ذلك فهناك أعمال كثيرة لم تنجز بعد منها :

١- تجديد التفكير الديني واستنباط الأفكار الحيوية والإبداعية من

النصوص .

٢- تعميم ونشر الفكر الديني الجديد على كل شرائح المجتمع .

٣- وضع برامج تعليمية وتربوية لتأهيل نخب من الرجال والنساء . . أي

صناعة جيل النهضة .

٤- ابتكار مشاريع ومؤسسات في المجتمع المدني تقوم على إعادة الإعمار

للفرد والمجتمع مادياً ونفسياً وفكرياً . . باستغلال الوسائل المتاحة تغذيها

الثروات المحلية . .

* * *

وفي الختام

الحمد لله الذي بفضلله تتم الصالحات . .

الحمد . لله الذي متعني بساعات أجول فيها عبر آيات القرآن . . خلافاً لما تعودناه من قراءات (ختمية) للقرآن قلماً تخللتها وقفات للتدبر والتأمل . .

وبعد فإني أعلم أن بحثي هذا فيه ثغرات . . وربما كان في حاجة إلى كثير من المراجعة والبيان والتفصيل والتحقيق والتصحيح . . ولكن هل هناك عمل إنساني كامل . . ؟! بل إن الأعمال الإنسانية تأتي متكاملة . . وحسبي أن أكون قد أثرت شهية الباحثين لدراسة هذا الموضوع وسبر غوره . . وفي عصر النهضة يأتي كل جهد أفضل ممن سبقه . . ولعلي لم أقع في تكرار ما قد قيل في مؤلفات سابقة لكثيرين بذلوا جهدهم من قبلي مشكورين ومأجورين . .

لكننا مضطرون للبحث عن فكر جديد . . وتفعيل لأفكار حيوية سبق أن عرضها مفكرون مجددون . . لأن ما نحمله من أفكار . . وما نقوم به من أعمال لم يكن كافياً لحمايتنا ومساعدتنا على إعادة النهضة لأمتنا . . ولعلنا اتخذنا الأفكار السابقة حلية ولم نفعلها ونجعل منها خططاً ومشاريع مثمرة . . وهذا ما دفعني لإعادة فحص آيات القرآن لأفهم من جديد . . فلئن أصبت فمن فضل الله ولئن قصرت وأخطأت فمن نفسي . . . طامعة بمغفرة ربي وتوفيقه . . وسيأتي من يصحح ويكمل . . ولا حرج . . فإن الزبد سيذهب جفاء . . ويبقى ما ينفع الناس .

فالحمد لله أولاً وآخراً . . وأسأله حسن القبول وحسن الختام .

ملاحظة : كنت قد كتبت هذا البحث في ١٤٣٦ هـ الموافق : آذار ٢٠١٥ م
لكنني عدت إليه في صيف ٢٠١٧ م وقمت بدراسته من جديد وأدخلت عليه
تعديلات . . حتى أنجز في الشهر الثاني من عام ٢٠١٨ والله الحمد .

حنان لحام

المراجع

- القرآن الكريم
- صحيح الترغيب للطبراني
- مختصر صحيح مسلم للمنذري
- صحيح البخاري
- مسند الإمام أحمد بن حنبل
- مقاصد القرآن . حنان اللحام
- العادات السبع للناس الأكثر فعالية - سيتفن كوفي
- حتى يغيروا - جودت سعيد
- العمل قدرة وإرادة - جودت سعيد
- من هدي سورة النساء - حنان اللحام
- البداية والنهاية - تاريخ ابن كثير
- تفسير سورة التوبة - حنان اللحام
- من هدي السيرة النبوية - حنان اللحام
- غاندي الإنسان - إكناث إيسوران - ترجمة غياث جازي
- تأملات مالك بن نبي
- مختصر دراسة للتاريخ - توينبي

* * *

المحتوى

٥	- إهداء
٦	- تقديم
٧	مواضيع القرآن
٩	الصراط المستقيم
١١	العلاقة مع الله : عبودية
١٥	العلاقة مع الناس : عدل وإحسان
١٨	العلاقة مع الكون : التسخير
١٨	العلم في القرآن
٢٣	عمل الله وعمل العبد
٢٥	الإخلاص والصواب
٢٨	الأول : الموالاة أو الولاء
٢٨	النوع الثاني هو : القتال
٢٩	القتال في القرآن
٣٧	الاستكبار والاستضعاف
٤٢	النقد الموضوعي (التغذية الراجعة)
٤٦	أدب النقد والحوار
٤٩	الحكم والحكمة
٥١	المقاصد في القرآن
٥٤	النفس والأمة في القرآن
٥٤	مقدمة
٥٧	- مدخل : - هل للنفس والمجتمع قوانين ؟
٥٨	- عدد ما أحصيت من سنن ونسبتها إلى عدد آيات القرآن
٦٠	- جدول لسور القرآن وعدد السنن الواردة فيها

٦٢	- الفصل الأول : سنن العلاقة بين عمل الله وعمل العبد
٦٤	١- باب سنن الهداية
٦٨	٢- باب سنن الضلال
٧٦	٣- باب سنن الخسارة
٨٧	٤- باب سنن الفلاح
٩٩	٥- باب محبة الله ومعيته
١٠٣	- الفصل الثاني : سنن استخلاف الإنسان
١٠٣	١- الباب الأول : سنن تتعلق بطبائع الإنسان
١١٠	٢- الباب الثاني : سنن الاستخلاف
١٢٠	٣- الباب الثالث : سنن الصحة النفسية
١٢٩	- الفصل الثالث : سنن تتعلق بالمجتمع
١٣٠	١- الباب الأول : هذا الكتاب يصنع خير أمة ويحميها
١٣٢	٢- الباب الثاني : سنن تماسك الأمة
١٣٨	٣- الباب الثالث : سنن تحقيق التوازن للأمة
١٤٤	٤- الباب الرابع : سنن حصول الأمة على الدنيا
١٥٠	- الفصل الرابع : سنن تتعلق بالفرد والمجتمع
١٥٠	١- الباب الأول : آثار الالتزام بالكتاب
١٥٧	٢- الباب الثاني : مشكلة الاستكبار والاستضعاف
١٦٠	٣- الباب الثالث : شرطان لنجاح الأعمال (من سنن الفلاح)
١٦٦	٤- الباب الرابع : البلاء فرصة للمراجعة والتصحيح
١٦٩	٥- الباب الخامس : العواقب
١٧٤	- الفصل الخامس : استنتاجات
١٧٨	وفي ختام
١٨٠	المراجع
١٨١	المحتوى

من أعمال المؤلفة

- ١- من هدي سورة البقرة .
- ٢- من هدي سورة آل عمران .
- ٣- من هدي سورة النساء .
- ٤- تأملات في سورة المائدة .
- ٥- تفسير سورة التوبة .
- ٦- أضواء وتأملات في سورة طه .
- ٧- من هدي سورة النور .
- ٨- تأملات في سورة الأحزاب .
- ٩- من هدي سورة لقمان .
- ١٠- أضواء على سورة يس .
- ١١- أضواء حول سورة الطلاق .
- ١٢- من هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي .
- ١٣- مقاصد القرآن الكريم .
- ١٤- ومضات من التاريخ .
- ١٥- منزلة المرأة في القرآن الكريم .
- ١٦- سمية بنت خياط .
- ١٧- أم سليم بنت ملحان .

- ١٨- أم حكيم بنت الحارث .
١٩- ميلاد جديد - مجموعة قصصية للناشئين .
٢٠- الشمس والريح - مجموعة قصصية للناشئين .
٢١- وأدرك شهرزاد الصباح - مجموعة قصصية للناشئين .
٢٢- مجموعة سورة العصر ٧ / ١ .
٢٣- جيل العطش - مجموعة قصصية للناشئين .
٢٤- حكايات لأحفادي ١ / ٥ - من سور القرآن الكريم .
٢٥- حكايات لأحفادي ١ / ٢٠ - من قصص السيرة النبوية .

* * *